موسوعة الأخلاق

الجزء الخامس

الحِلْم - الحَيَاء - الرَّحْمَة - الرِّفْقُ

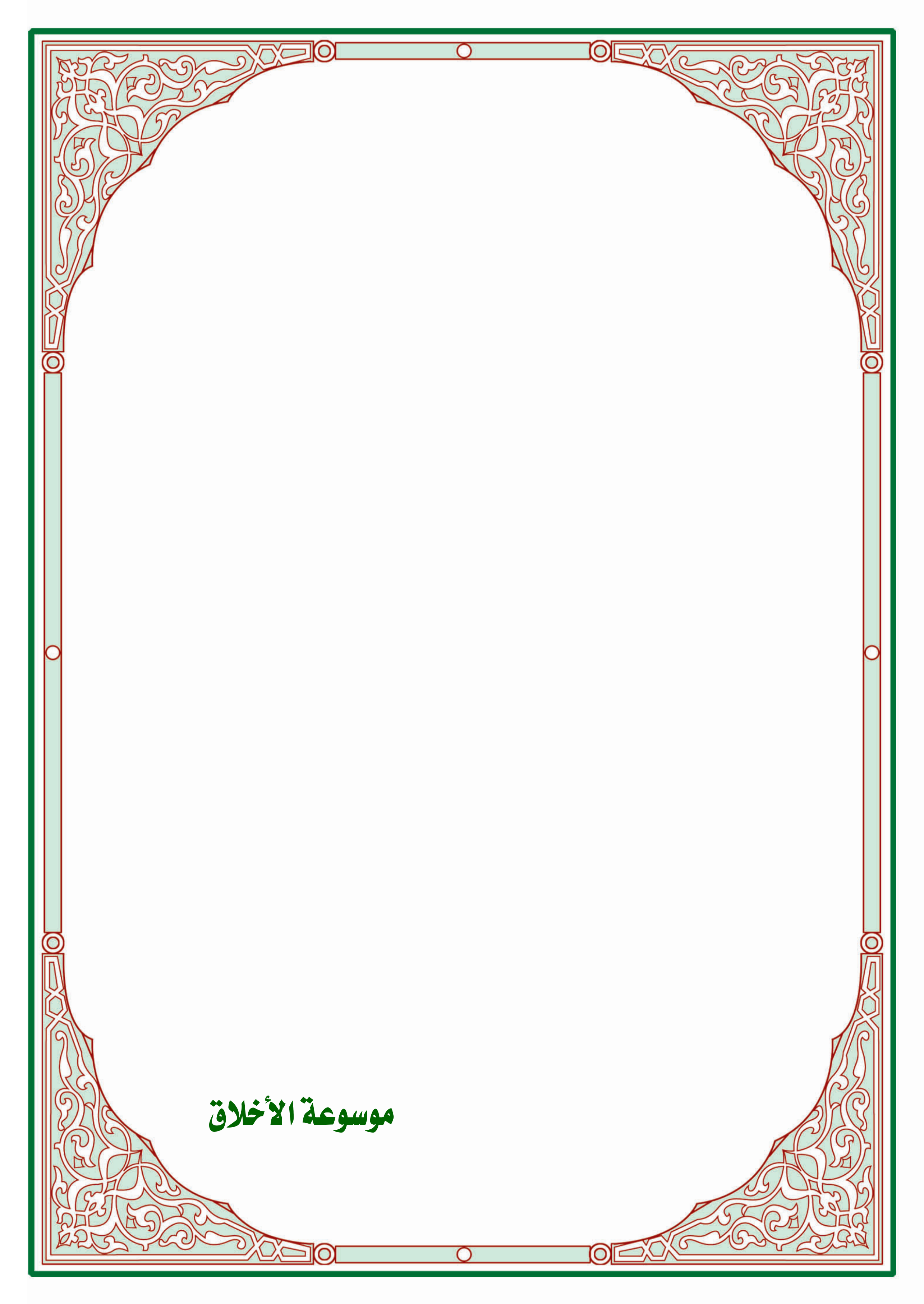
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

عَلَوِيّ بن عبد القادر السَّقَّاف




موسوعة الأخلاق



موسوعة الأخلاق

الجزء الخامس

الحِلْم - الحَيَاء - الرَّحْمَة - الرِّفْقُ

إعداد

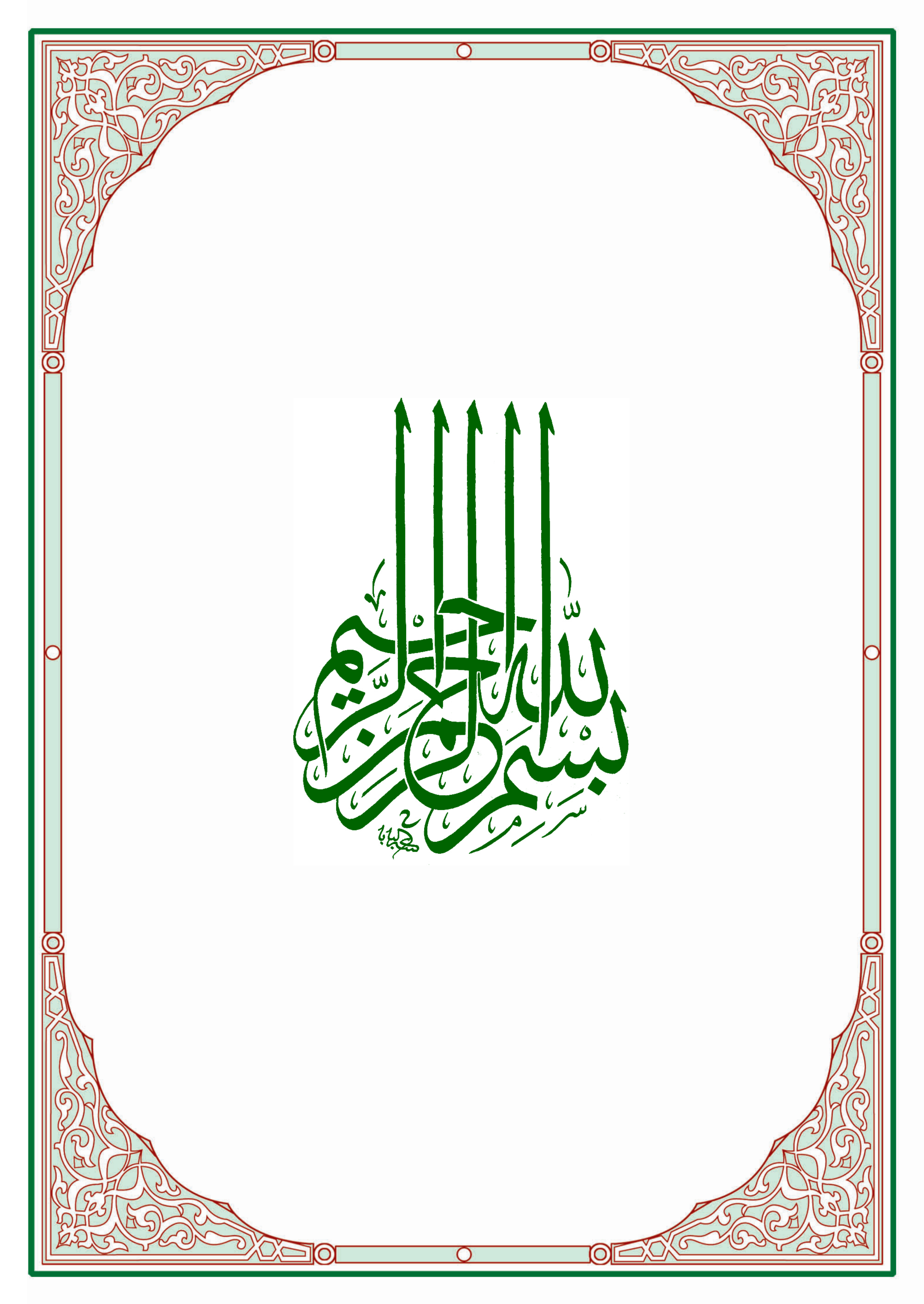
القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

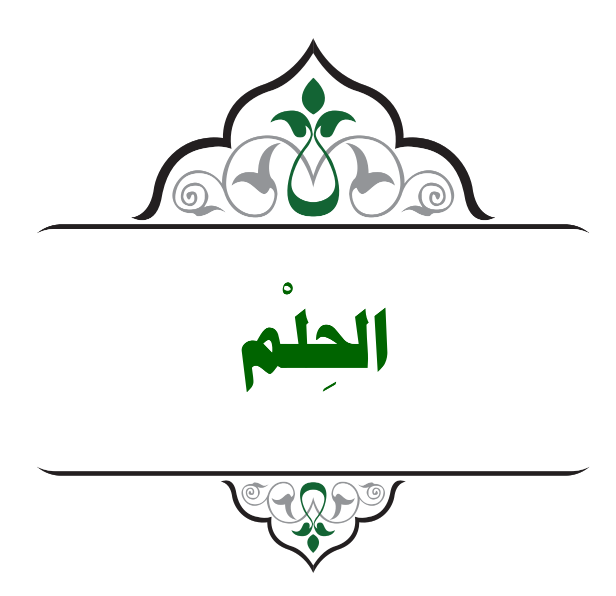
إشراف الشيخ

علوي بن عبد القادر السَّقَّاف

الدُّرَرُ السَّنِيَّة

www.dorar.net


بسم الله الرحمن الرحيم



الحِلْم

الحِلْم

معنى الحِلْم لغةً واصطلاحًا:

• معنى الحِلْم لغةً:

الحِلْمُ -بالكسر-: الأَناةُ والعقل، وجمعه: أَحْلام وحُلُومٌ[١].

والحِلْم خلافُ الطَّيش. يقال: حَلُمْتُ عنه أحلُم، فأنا حليمٌ[٢].

• معنى الحِلْم اصطلاحًا:

عُرِّف الحِلْم بعدَّة تعريفات منها:

الحِلْم: ضبط النَّفس والطَّبع عن هيجان الغضب[٣].

وقيل هو: (الطُّمَأْنِينَة عند سَوْرَة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظَّالم)[٤].

وقيل الحِلْم: (اسم يقع على زمِّ النَّفس عن الخروج عند الورود عليها، ضدُّ ما تحبُّ إلى ما نهي عنه. فالحِلْم يشتمل على المعرفة والصَّبر والأَنَاة)[٥].

الفرق بين الحِلْم وبعض الصِّفات:

• الفرق بين الحِلْم والصَّبر:

أنَّ الحِلْم هو: الإمْهَال بتأخير العقاب المستحقِّ... ولا يصحُّ الحِلْم إلَّا ممَّن يقدر على العقوبة وما يجري مجراها... والصَّبر: حبس النَّفس لمصادفة المكروه، وصَبَرَ الرَّجل: حَبَس نفسه عن إظهار الجزع[٦].

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/١٤٥).

(٢) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٩٣).

(٣) ((مفردات ألفاظ القرآن)) للرَّاغب (ص ٢٥٣).

(٤) ((التعريفات)) للجرجاني (ص ٩٢).

(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبَّان البستي (ص ٢٠٨).

(٦) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (ص ١٩٩).

الفرق بين الحِلْم والوَقَار:

الوَقَار: هو الهدوء وسكون الأطراف، وقلَّة الحركة في المجلس، ويقع أيضًا على مفارقة الطَّيش عند الغضب، مأخوذ مِن الوَقْر وهو: الحِمْل[1].

الفرق بين الحِلْم والإمْهَال:

أنَّ كلَّ حلمٍ إمهالٌ، وليس كلُّ إمهالٍ حلمًا؛ لأنَّ الله تعالى لو أمهل مَن أخذه لم يكن هذا الإمْهَال حلمًا[2].

الفرق بين الحِلْم والأَنَاة والرِّفق:

الحِلْم: أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب، فإذا حصل غضبٌ وهو قادر على العقاب، فإنَّه يَحْلم ولا يعاقب.

وأمَّا الأَنَاة: فهي التَّأنِّي في الأمور وعدم العجلة، وألَّا يأخذ الإنسان الأمور بظاهرها فيتعجَّل ويحْكُم على الشَّيء قبل أن يتأنَّى فيه وينظر.

وأمَّا الرِّفق: فهو معاملة النَّاس بالرِّفق والهون حتى وإن استحقُّوا ما يستحقُّون مِن العقوبة والنَّكال، فإنَّه يرفُق بهم[3].

التَّرغيب في الحِلْم:

أولًا: في القرآن الكريم

وردتْ آيات قرآنيَّة كثيرة تشير إلى صفة الحِلْم، ووصف الله نفسه بالحِلْم، وسمَّى نفسه الحليم، ووردت آيات تدعو المسلمين إلى التَّحلِّي بهذا الخُلُق

(١) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (ص ٥٧٥).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٩٧).

(٣) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٣/٥٧٣).

النَّبيل، وعدم المعاملة بالمثل ومقابلة الإساءة بالإساءة، والحثِّ على الدَّفع بالتي هي أحسن، والتَّرغيب في الصَّفح عن الأذى والعفو عن الإساءة.

- قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٤].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ (أي: لا يعملون غضبهم في النَّاس، بل يكفون عنهم شرَّهم، ويحتسبون ذلك عند الله عزَّ وجلَّ.

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ أي: مع كفِّ الشَّرِّ يعفون عمَّن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم مَوجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، فهذا مِن مقامات الإحسان)[(١)].

- وقال عزَّ وجلَّ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

- ووصف الله عزَّ وجلَّ بعضَ أنبيائه بالحِلْم؛ قال تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات:١٠١]، يقول ابن تيمية: (وقد انطوت البشارة على ثلاثٍ: على أنَّ الولد غلامٌ ذكرٌ، وأنَّه يبلغ الحِلْم، وأنَّه يكون حليمًا، وأيُّ حلمٍ أعظم مِن حلمه حين عرض عليه أبوه الذَّبح فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]؟ وقيل: لم ينعت الله الأنبياء بأقلَّ مِن

(١) ((تفسير ابن كثير)) (١٢٢/٢).

الحِلْم وذلك لعزَّة وجوده، ولقد نعت إبراهيم به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التَّوبة:١١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥]؛ لأنَّ الحادثة شهدت بحلمهما، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]) [(١)].

- قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصِّلت:٣٤] (أي: إذا أحسنت إلى مَن أساء إليك، قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبَّتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنَّه وليٌّ لك حميم، أي: قريب إليك مِن الشَّفقة عليك والإحسان إليك. ثمَّ قال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصِّلت:٣٥]، أي: وما يقبل هذه الوصيَّة ويعمل بها إلَّا مَن صبر على ذلك، فإنَّه يشقُّ على النُّفوس، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: ذو نصيب وافر مِن السَّعادة في الدُّنْيا والآخرة.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: (أمر الله المؤمنين بالصَّبر عند الغضب، والحِلْم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله مِن الشَّيطان، وخضع لهم عدوُّهم كأنَّه وليٌّ حميم)[(٢)].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- قال صلى الله عليه وسلم لأشجِّ عبد القيس: ((إنَّ فيك لخصلتين يحبُّهما

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٤/٣٣٢).
(٢) ((تفسير ابن كثير)) (٧/١٨١).

الله: الحِلْم والأَنَاة))[١].

– وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التَّأنِّي مِن الله، والعجلة مِن الشَّيطان، وما أحدٌ أكثر معاذير مِن الله، وما مِن شيءٍ أحبُّ إلى الله مِن الحِلْم))[٢].

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس الشَّديد بالصُّرَعَة، إنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغضب))[٣].

قال ابن بطَّال: (مدح الله تعالى الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم، وأخبر أنَّ ما عنده خيرٌ وأبقى لهم مِن متاع الحياة الدُّنْيا وزينتها، وأثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن النَّاس، وأخبر أنَّه يحبُّهم بإحسانهم في ذلك)[٤].

وقال ابن عبد البر: (في هذا الحديث مِن الفقه: فضل الحِلْم. وفيه دليلٌ على أنَّ الحِلْم: كتمان الغيظ. وأنَّ العاقل مَن مَلَك نفسه عند الغضب؛ لأنَّ العقل -في اللُّغة-: ضبط الشَّيء وحبسه منه)[٥].

– وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليليني منكم أولو الأحلام والنُّهى..))[٦].

---

(١) رواه مسلم (١٨) مِن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو يعلى (٢٤٧/٧)، والبيهقي في ((الشُّعب)) (٢١١/٦)، والحارث بن أسامة في ((مسنده)) (٨٢٨/٢) كلُّهم بلفظ: (الحمد) بدلًا مِن (الحِلْم) مِن حديث أنس رضي الله عنه. قال المنذري في ((التَّرغيب والتَّرهيب)) (٣٥٩/٢) والهيثمي في ((المجمع)) (٢٢/٨): رجاله رجال الصَّحيح. وقال البوصيري في ((إتحاف الخيرة)) (٣١/٦): رجال إسناده ثقات.

(٣) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٤) ((شرح صحيح البخاري)) (٩/ ٢٩٦).

(٥) ((التمهيد)) (٣٢٢/٦).

(٦) رواه مسلم (٤٣٢) مِن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(أي ذوو الألباب والعقول، واحدها: حِلْمٌ بالكسر، فكأنَّه مِن الحِلْم: الأَنَاة والتَّثبُّت في الأمور، وذلك مِن شعائر العقلاء، وواحد النُّهى: نُهْيَة بالضَّم، سُمِّي العقل بذلك لأنَّه ينهى صاحبه عن القبيح)[١].

أقوال السَّلف والعلماء في الحِلْم:

- قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (ليس الخير أن يَكْثُر مالك وولدك، ولكنَّ الخير أن يَكْثُر علمك ويَعْظُم حلمك، وأن لا تباهي النَّاس بعبادة الله، وإذا أحسنت: حمدت الله تعالى، وإذا أسأت: استغفرت الله تعالى)[٢].

- (وبلغ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّ جماعة مِن رعيَّته اشتكوا مِن عمَّاله؛ فأمرهم أن يوافوه، فلمَّا أتوه، قام فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أيُّها النَّاس، أيَّتها الرَّعيَّة، إنَّ لنا عليكم حقًّا: النَّصيحة بالغيب والمعاونة على الخير، أيَّتها الرُّعاة إنَّ للرَّعيَّة عليكم حقًّا فاعلموا أنَّه لا شيء أحبُّ إلى الله ولا أعزُّ مِن حِلْم إمامٍ ورِفْقِه، وليس جهلٌ أبغض إلى الله ولا أغمَّ من جهل إمامٍ وخرْقه)[٣].

- وقال رضي الله عنه: (تعلَّموا العلم وتعلَّموا للعلم السَّكينة والحِلْم)[٤].

- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (ينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حكيمًا حليمًا سكينًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا

(١) ((حاشية السيوطي والسندي على سنن النسائي)) (٢/٤٢٣).
(٢) رواه أبو نعيم في ((الحلية)) (١/٧٥)، والبيهقي في ((الزُّهد الكبير)) (٢٧٦) موقوفًا على علي رضي الله عنه.
(٣) رواه هنَّاد في ((الزُّهد)) (٢/٦٠٢)، والطَّبري في ((التاريخ)) (٤/٢٢٤).
(٤) رواه الطَّبراني في ((الأوسط)) (٦/٢٠٠)، ووكيع في ((الزُّهد)) (٥٣٨)، وأحمد في ((الزُّهد)) (٩٩).

غافلًا ولا صخَّابًا ولا صيَّاحًا ولا حديدًا)[(١)].

- وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: (لا يبلغ العبد مبلغ الرَّأي حتى يغلب حِلْمُه جهله، وصبرُه شهوته، ولا يبلغ ذلك إلَّا بقوَّة الحِلْم)[(٢)].

- وسُئل عمرو بن الأهتم: (أيُّ الرِّجال أشجع؟ قال: مَن ردَّ جهله بحِلْمه، قال: فأيُّ الرِّجال أسخى؟ قال: مَن بذل دنياه لصالح دينه)[(٣)].

- وقال مرَّةً لعَرَابَة بن أوس: (بم سدت قومك يا عَرَابَة؟ قال: كنت أحْلُم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمَن فعل فعلي فهو مثلي، ومَن جاوزني فهو أفضل، ومَن قصَّر عنِّي فأنا خير منه)[(٤)].

- وقال أيضًا: (عليكم بالحِلْم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصَّفح والإفضال)[(٥)].

- وأسمعه رجلٌ كلامًا شديدًا، فقيل له: لو عاقبته، فقال: (إنِّي أستحيي أن يضيق حلمي عن ذنب أحدٍ من رعيَّتي)[(٦)].

- وعن أبي الدَّرداء قال: (ليس الخير أن يَكْثُر مالك وولدك، ولكنَّ الخير أن يَعْظُم حِلْمُك، ويَكْثُر علمك، وأن تنادي النَّاس في عبادة الله، فإذا أحسنت حمدت الله، وإذا أسأت استغفرت الله)[(٧)].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٥٨٤)، وأحمد في ((الزُّهد)) (١٣٣)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (١٢٩/١) موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ((الحِلْم)) لابن أبي الدُّنْيا (٢٥-٢٦).

(٣) ذكره الغزالي في ((إحياء علوم الدِّين)) (١٧٨/٣).

(٤) رواه ابن أبي الدُّنْيا في ((الحِلْم)) (٤٠)، وذكره الغزالي في ((إحياء علوم الدِّين)) (١٧٨/٣).

(٥) ذكره الغزالي في ((إحياء علوم الدِّين)) (١٨٤/٣).

(٦) رواه ابن أبي الدُّنْيا في ((حلم معاوية)) (٢٢)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١٧٩/٥٩).

(٧) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٥٨٥)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (٢١٢/١)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١٥٨/٤٧).

- وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (نحن معشر قريش نعدُّ الحِلْم والجُود، السُّؤدد، ونعدُّ العفاف وإصلاح المال، المروءة)[١].

- وقال الحسن البصريُّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]: (حُلَمَاء: إن جُهِل عليهم لم يجهلوا)[٢].

- وقال أيضًا: (اطلبوا العلم وزيِّنوه بالوَقَار والحِلْم)[٣].

- وقال أكثم بن صيفيٍّ: (دعامة العقل الحِلْم، وجماع الأمر الصَّبر، وخير الأمور العفو)[٤].

- وعن رجاء بن أبي سلمة قال:(الحِلْم خصلة مِن خصال العقل)[٥].

- وقال محمَّد بن عليٍّ رضي الله عنهما: (مَن حَلُمَ وَقَى عِرْضه، ومَن جادت كفُّه حَسُن ثناؤه، ومَن أَصْلح مالَه استَغْنى، ومَن احتمل المكْروه كثرت محَاسنه، ومَن صَبر حُمِد أمرُه، ومَن كظَم غيظَه فشا إحسانُه، ومَن عَفا عن الذُّنوب، كثُرت أياديه، ومَن اتَّقى الله كفاه ما أهمَّه)[٦].

- وقال أبو رزين في قوله: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩]: (حلماء علماء)[٧].

- وعن معاوية بن قرَّة قال: (مكتوبٌ في الحكمة: لا تجالس بحِلْمك

(١) ذكره ابن مفلح في ((الآداب الشَّرعية)) (٢/٢١٥).
(٢) رواه يحيى بن سلام في ((تفسيره)) (٤٨٩)، وذكره القرطبي في ((تفسيره)) (١٣/٦٩).
(٣) ذكره الغزالي في ((إحياء علوم الدِّين)) (٣/١٧٨).
(٤) ((الحِلْم)) لابن أبي الدُّنْيا (ص ٢٧).
(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٢١).
(٦) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه الأندلسي (١/١٨١).
(٧) ((الحِلْم)) لابن أبي الدُّنْيا (ص ٢٣).

السُّفهاء، ولا تجالس بسفهك الحُلَماء)[١].

- وعن الحسن قال: (المؤمن حليمٌ لا يجهل وإن جُهِل عليه، حليمٌ لا يظلم، وإن ظُلِم غَفَر، لا يقطع، وإن قُطِع وصل، لا يبخل، وإن بُخِل عليه صبر)[٢].

- وقال وهب بن منبه: (العلم خليل المؤمن، والحِلْم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيمته، والصَّبر أمير جنوده، والرِّفق أبوه، واللِّين أخوه)[٣].

- وقال عطاء بن أبي رباح: (ما أوى شيءٌ إلى شيءٍ أزين مِن حلمٍ إلى علم)[٤].

فوائد الحلم:

١- الحليم عظيم الشَّأن، رفيع المكان، محمود الأمر، مرضي الفعل[٥].

٢- (أنَّه دليل كمال العقل وسعة الصَّدر، وامتلاك النَّفس.

٣- يعمل على تآلف القلوب ونشر المحبَّة بين النَّاس.

٤- يزيل البغضاء بين النَّاس ويمنع الحسد)[٦].

٥- صفة الحِلْم عواقبها محمودة.

٦- أوَّل عِوَض الحَليم عن حِلْمه أنَّ النَّاس أنصارُه على الجاهل[٧].

---

(١) ((الحِلْم)) لابن أبي الدُّنْيا (ص ٥٣).

(٢) ((المصدر السابق)) (٥٤-٥٥).

(٣) ((التَّرغيب في فضائل الأعمال)) للحافظ ابن شاهين (ص ٢٥١) .

(٤) رواه الدارمي (١/٤٧٠) (٥٩٦).

(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبَّان البستي (٢٠٨).

(٦) ((نضرة النعيم)) (٥/١٧٥٢) - بتصرف.

(٧) هذا القول يُنْسَب لعليٍّ رضي الله عنه. انظر: ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه الأندلسي (١/١٨٢).

٧- الحليم له القوّة في التَّحكُّم في انفعالاته، قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((ليس الشَّديد بالصُّرَعَة، إنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغضب))[1].

الوسائل المعينة على اكتساب الحِلْم:

١- تذكُّر كثرة حلم الله على العبد، فالله سبحانه وتعالى حليم: يرى معصية العاصي ومخالفته لأمره فيمهله، قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

قال أبو حاتم: (الواجب على العاقل، إذا غضب واحتدَّ، أن يذكر كثرة حلم الله عنه، مع تواتر انتهاكه محارمه، وتعدِّيه حرماته، ثمَّ يَحْلُم، ولا يخرجه غيظه إلى الدُّخول في أسباب المعاصي)[2].

وقال محمَّد بن السعدي لابنه عروة لما وَلِي اليمن: (إذا غضبت فانظر إلى السَّماء فوقك، وإلى الأرض تحتك، ثمَّ عظِّم خالقهما)[3].

٢- تذكُّر الثَّواب مِن الله للعافين عن النَّاس، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٤].

عن أبي جعفر الخطمي أنَّ جدَّه عمير بن حبيب -وكان قد بايع النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم- أوصى بنيه، فقال لهم: (أيْ بني! إيَّاكم ومخالطة السُّفهاء؛

(١) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبَّان البستي (ص ٢١٢).
(٣) ((المصدر السابق)).

فإنَّ مجالستهم داء، وإنَّه مَن يَحْلُم عن السَّفِيه يُسَر بحِلْمِه، ومَن يجبه يندم، ومَن لا يقر بقليل ما يأتي به السَّفِيه، يقر بالكثير)[١].

٣- الرَّحمة بالجاهل، ومِن ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه، حيث قال: ((بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابيٌّ، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزرموه، دعوه. فتركوه حتى بال، ثمَّ إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه، فقال له: إنَّ هذه المساجد لا تصلح لشيء مِن هذا البول ولا القذر، إنَّما هي لذكر الله عزَّ وجلَّ، والصَّلاة، وقراءة القرآن. أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فأمر رجلًا مِن القوم فجاء بدلوٍ مِن ماء فشنَّه[٢] عليه))[٣].

٤- التَّرفُّع عن المعاملة السَّيِّئة بالمثل، وهذا يدلُّ على شرف النَّفس، وعلوِّ الهمَّة، يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه: ((غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نَجْدٍ، فلمَّا أدركته القائلة وهو في واد كثير العِضَاه[٤]، فنزل تحت شجرة، واستظلَّ بها وعلَّق سيفه، فتفرَّق النَّاس في الشَّجر يستظلُّون، وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا، فإذا أعرابيٌّ قاعد بين يديه، فقال: إنَّ هذا أتاني وأنا نائمٌ، فاخترط سيفي[٥]، فاستيقظت

(١) رواه الطَّبراني (١٧/٥٠) (١٠٨)، والبيهقي (١٠/٩٥) (٢٠٧٠٥)، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٧/٢٦٩): رجاله ثقات.

(٢) شنه: صبه. ((شرح النووي على مسلم)) (٣/١٩٣) .

(٣) رواه مسلم (٢٨٥) مِن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) العضاه: كل شجرة ذات شوك ((شرح النووي على مسلم)) (١٥/٤٤).

(٥) اخترط السيف: سله من غمده ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٢/٢٣).

وهو قائمٌ على رأسي مخترطٌ صلتًا[١]، قال: مَن يمنعك مني؟ قلت: الله. فشَامَه ثمَّ قعد، فهو هذا، قال: ولم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم))[٢].

٥- التَّفضُّل على المسيء، ومِن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، حيث قال: (كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجبذه بردائه جَبْذَةً شديدةً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثَّرت بها حاشية البرْد مِن شدَّة جَبْذَته، ثمَّ قال: يا محمَّد! مُرْ لي مِن مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمَّ ضحك، ثمَّ أمر له بعطاء)[٣].

٦- الاستحياء مِن جزاء الجواب، وكان الأحنف بن قيس يقول: (مَن لم يصبر على كلمة سمع كلمات، ورُبَّ غيظٍ قد تجرَّعته مخافة ما هو أشدُّ منه، وأنشد:

رضيت ببعض الذُّل خوف جميعه كذلك بعض الشَّرِّ أهونُ مِن بعض[٤]

٧- الرِّعاية ليدٍ سالفة، وحرمة لازمة، وهذا مِن الوفاء، وحُسنِ العهد، وكمال المروءة، عن حفص بن غياث قال: (كنت جالسًا عند جعفر بن محمد، ورجل يشكو رجلًا عنده، قال لي كذا، وفعل لي كذا، فقال له جعفر: مَن أكرمك فأكرمه، ومَن استخفَّ بك فأكرم نفسك عنه)[٥].

---

(١) صلتًا: مجردا ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٣/٤٥).

(٢) رواه البخاري (٤١٣٩).

(٣) رواه البخاري (٣١٤٩).

(٤) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢/٢٧٩).

(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبَّان البستي (٢١٣).

قال الشَّاعر:

إنَّ الوفاء على الكريم فريضة   واللُّؤم مقرون بذي الإخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفًا   وترى اللَّئيم مجانب الإنصاف[١]

نماذج في الحِلْم:

• نماذج مِن حلم النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم:

لقد بلغ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم غاية الحِلْم والعفو، والسُّنَّة النَّبويَّة حافلة بمواقف الرَّسول الكريم في الحِلْم، ومِن ذلك:

- قصَّة الأعرابي الذي جبذ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم بردائه جَبْذَةً شديدةً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجبذه[٢] بردائه جبْذَةً شديدةً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثَّرت بها حاشية البُرْد مِن شدَّة جَبْذَته، ثمَّ قال:يا محمَّد! مُرْ لي مِن مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمَّ ضحك، ثمَّ أمر له بعطاء))[٣].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ، فهمَّ به أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه فإنَّ لصاحب الحقِّ مقالًا. ثمَّ قال: أعطوه سِنًّا مِثْل سِنِّه، قالوا: يا رسول الله، لا نجد إلَّا أمثل مِن سِنِّه، فقال: أعطوه، فإنَّ مِن خيركم أحسنكم قضاءً))[٤].

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٢٥٥).

(٢) الجبذ: الجذب. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٢٣٥/١).

(٣) رواه البخاري (٣١٤٩).

(٤) رواه البخاري (٢٣٠٦).

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((كأنِّي أنظر إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يحكي نبيًّا مِن الأنبياء ضربه قومه فأدموه، فهو يمسح الدَّم عن وجهه، ويقول: ربِّ اغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمون))[1].

قال النَّوويُّ: (فيه ما كانوا عليه صلوات الله وسلامه عليهم مِن الحِلْم والتَّصبُّر والعفو والشَّفقة على قومهم، ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنَّهم لا يعلمون، وهذا النَّبيُّ المشار إليه مِن المتقدِّمين، وقد جرى لنبيِّنا صلى الله عليه وسلم مثل هذا يوم أحد)[2].

- وعن أنس رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن أحسن النَّاس خُلُقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبيُّ الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، قال: فخرجت حتى أمرَّ على صبيان وهم يلعبون في السُّوق، فإذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قابضٌ بقفاي مِن ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس! اذهب حيث أمرتك، قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله. قال أنس: والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين ما علمت قال لشيء صنعتُ: لم فعلتَ كذا وكذا؟ ولا لشيء تركتُ: هلَّا فعلتَ كذا وكذا؟))[3].

- وعن عائشة رضي الله عنها زوج النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّها قالت للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ مِن يوم أُحُدٍ؟ قال: لقد لقيت مِن قومك ما لقيت، وكان أشدُّ ما لقيت منهم: يوم العقبة، إذ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٧).
(٢) ((شرح النَّووي على مسلم)) (١٢/١٥٠).
(٣) رواه مسلم (٢٣١٠).

عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلَالٍ، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلَّا وأنا بقرن الثَّعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلَّم عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخْرِج الله مِن أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا))[١].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَقْسم قَسْمًا، إذ أتاه ذو الخُوَيصرة -رجل مِن بني تميم- فقال: يا رسول الله اعدل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويلك! ومَن يعدل إن لم أعدل؟! لقد خبتُ وخسرتُ إذا لم أعدل، فمن يعدل؟! فقال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: يا رسول الله! ائذن لي فأضرب عنقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دَعْه، فإنَّ له أصحابًا يَحْقِر أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقِيهم[٢]، يمرقون مِن الإسلام كما يمرُق السَّهم مِن الرَّميَّة[٣]، ينظر إلى نَصْله

(١) رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥).

(٢) جمع ترقوة، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. وهما ترقوتان من الجانبين ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (١/١٨٧).

(٣) الرمية: الصيد المرمي شبه مروقهم من الدين بالسهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يعلق من جسد الصيد شيء. ((فتح الباري)) لابن حجر (٦/٦١٨).

فلا يوجد فيه شيء، ثمَّ إلى رِصَافِهِ، فلا يوجد فيه شيء، ثمَّ ينظر إلى نَضِيَّة -وهو قِدْحه- فلا يوجد فيه شيء، ثمَّ ينظر إلى قُذَذِه [١] فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفَرْث والدَّم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثَدْي المرأة، أو مثل البَضْعَة تَدَرْدَرُ [٢]، ويخرجون على حين فُرْقة مِن النَّاس. قال أبو سعيد: فأشهد أنِّي سمعت هذا مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه قاتَلَهم وأنا معه، وأمر بذلك الرَّجل فالتُمس، فأُتي به حتى نظرتُ إليه على نَعْت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعت))[٣].

- وعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم الحديبية، هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ثمانون رجلًا مِن أهل مكَّة بالسِّلاح مِن قِبَل جبل التَّنْعيم يريدون غِرَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا عليهم فأُخذوا، قال عفَّان: فعفا عنهم، ونزلت هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤])[٤].

- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سحر النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ مِن اليهود، فاشتكى لذلك أيَّامًا، قال: فجاءه جبريل عليه السَّلام، فقال: إنَّ رجلًا مِن اليهود سحرك، عقد لك عقدًا في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها مَن يجيء بها. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله تعالى عنه، فاستخرجها، فجاءه بها فحلَّلها، قال: فقام رسول الله صلى الله

(١) القذذ: ريش السهم ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٤/٢٨).

(٢) تضطرب وتذهب وتجيء. ((شرح النووي على مسلم)) (٧/١٦٦).

(٣) رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

(٤) رواه مسلم (١٨٠٨)، وأحمد (٣/١٢٢) (١٢٢٤٩).

عليه وسلم كأنَّما نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات[١].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة، فأكل منها. فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك. قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك، قال: أو قال: علي، قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم))[٢].

نماذج مِن حِلْم الصَّحابة رضي الله عنهم:

حِلْم أبي ذر رضي الله عنه:

شَتم رجلٌ أبا ذَرٍّ رضي الله عنه فقال: (يا هذا، لا تُغرق في شَتمنا ودَع للصُّلح مَوضعًا، فإنَّا لا نكافئ مَن عصى الله فينا بأكثر مِن أن نُطيع الله فيه)[٣].

حِلْم معاوية رضي الله عنه:

كان الرَّجل يقول لمعاوية رضي الله عنه: والله لتستقيمنَّ بنا يا معاوية، أو لنقوِّمنَّك، فيقول: بماذا؟ فيقولون بالخشب، فيقول إذًا أستقيم[٤].

---

(١) رواه النسائي (٤٠٨٠)، وأحمد (٤/٣٦٧) (١٩٢٨٦). ذكر ابن حجر في الفتح (١٠/٢٣٩): أنَّ له طرقًا، وصحَّح إسناده الألباني في ((صحيح النسائي)) (٤٠٩١).

(٢) رواه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠)، واللفظ له.

(٣) رواه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٥/١١٣)، والبيهقي في ((الشُّعب)) (١١/٣٠) (٨١٠٦) وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٥/٢٩).

(٤) رواه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٥٩/١٨٤)، وذكره الذَّهبي في ((سير أعلام النُّبلاء)) (٥/١٤٩).

حِلْم عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال رجل لعمرو بن العاص رضي الله عنه: والله لأتفرَّغنَّ لك، قال: هنالك وقعت في الشُّغل، قال: كأنَّك تهدِّدني، والله لئن قلت لي كلمة لأقولنَّ لك عشرًا، فقال عمرو: وأنت والله لئن قلتَ لي عشرًا، لم أقلْ لك واحدة[١].

حِلْم ابن عبَّاس رضي الله عنهما:

سبَّ رجلٌ ابن عبَّاس رضي الله عنهما، فقال ابن عبَّاس: (يا عكرمة هل للرَّجل حاجة فنقضيها؟ فنكَّس الرَّجل رأسه، واستحى ممَّا رأى مِن حلمه عليه)[٢].

نماذج مِن حِلْم السَّلف:

حِلْم عمر بن عبد العزيز:

وأسمع رجلٌ عمر بن عبد العزيز بعضَ ما يَكْره، فقال: (لا عليك، إنَّما أردتَ أن يَسْتفزَّني الشَّيطان بعزَّة السُّلطان، فأنال منك اليوم ما تنالُه منِّي غدًا، انصرفْ إذا شئت)[٣].

حِلْم الشَّعَبي:

شَتم رجلٌ الشَعبيَّ، فقال له: إن كنتَ صادقًا فغَفر الله لي، وإن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك[٤].

نماذج مِن حِلْم العلماء المعاصرين:

حِلْم الشَّيخ ابن باز:

قبل سنتين مِن وفاته رحمه الله، كان في الطَّائف، وفي يومٍ مِن الأيَّام جاء سماحته مِن الدَّوام، ودخل مجلسه، فحيَّا الجموع التي كانت تأتي كالعادة إليه، وفي هذه الأثناء دخل عليه رجلٌ ثائر، ومعه أوراق يطلب فيها شفاعة الشَّيخ؛

(١) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربِّه (٢/٢٧٥).

(٢) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزالي (٣/١٧٨).

(٣) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربِّه (٢/٢٧٩).

(٤) ((المصدر السابق)) (٢/٢٧٦).

ليحصل على مال؛ ليتزوَّج، فشرع الرَّجل يتكلَّم بصوت مرتفعٌ أزعج الحاضرين في المجلس، فوجَّهه سماحة الشَّيخ بما يلزم، وقال: اذهب إلى فلان في بلدكم الفلاني، واطلب منه أن يكتب لكم تزكية، ويقوم باللَّازم، ثمَّ يرفعه إلينا، ونحن نكمل اللَّازم، ونرفع إلى أحد المحسنين في شأنك.

فقال الرَّجل: يا شيخ ارفعها إلى المسؤول الفلاني -يعني أحد المسؤولين الكبار- فقال سماحة الشَّيخ: ما يكون إلَّا خير، فرفع الرَّجل صوته، وأخذ يكرِّر: لابدَّ أن ترفعها إلى فلان، وما زال يردِّد، وما زال الشَّيخ يلاطفه، ويرْفق به، ويعِدُه بالخير، حتى إنَّ الحاضرين تكدَّروا، وبدا الغضب مِن على وجوههم، بل إنَّ بعضهم هَمَّ بإخراج الرَّجل، ولكنَّهم تأدَّبوا بحضرة الشَّيخ. ولم يرغبوا بالتَّقدُّم بين يديه. فقال الرَّجل: يا شيخ! عمري يزيد على الخمسين، وما عندي زوجة، وما بقي مِن عمري إلَّا القليل، فتبسَّم سماحة الشَّيخ، وقال: يا ولدي إن شاء الله، ستتزوَّج، ويزيد عمرك إن شاء الله على التِّسعين، وسنعمل ما نستطيع في تلبية طلبك.

فما كان مِن ذاك الرَّجل الثائر المستوفز [١] إلاَّ أن تَبلَّجت أساريره، وأقبل على سماحة الشَّيخ، وأخذ برأس الشَّيخ يُقَبِّله، ويدعو له، فلمَّا همَّ بالانصراف، ودَّع الشَّيخ، فقال له سماحته: لا نسمح لك؛ غداؤك معنا، فقال: يا شيخ أنا على موعد، فقال له الشَّيخ: هذا الهاتف اعتذر، فما زال يحاول التَّخلُّص، وما زال سماحة الشَّيخ يلحُّ عليه بتناول الغداء، ولم يقبل سماحته الاعتذار إلَّا بعد لَأْيٍ [٢] وجَهْد.

(١) المستوفز الذي رفع أليتيه ووضع ركبتيه. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣٢/١٤).
(٢) لَأْي: شدة وإبطاء. ((المصدر السابق)) (٢٣٧/١٥).

حينئذٍ تعجَّب الحاضرون مِن تحمُّل الشَّيخ، وأصبحت ترى الدَّهشة بادية على وجوههم، فكأنَّه أعطاهم درسًا عمليًّا في فضل الحِلْم، وحميد عاقبته[١].

الأمثال في الحِلْم:

- (قولهم: إذا نزل بك الشَّرُّ فاقعد. أي: فاحْلُم ولا تسارع إليه.
- وقولهم: الحليم مطيَّة الجاهل.
- وقولهم: لا ينتصف حليم مِن جاهل.
- وقولهم: حلمي أصمُّ، وأذني غير صمَّاء.
- وقولهم في الحُلَماء: كأنَّما على رؤوسهم الطَّير)[٢].

الحِلْم في واحة الشِّعر:

قال الشافعي:

يخاطبني السَّفِيهُ بكلِّ قبحٍ ... فأكرهُ أن أكونَ له مجيبَا
يزيدُ سفاهةً فأزيدُ حلمًا ... كعودٍ زاده الإحراقُ طيبَا[٣]

وقال أيضا:

إذا نطق السَّفِيهُ فلا تُجِبْه ... فخيرٌ مِن إجابتِه السُّكوتُ
فإن كلَّمته فرَّجت عنه ... وإن خلَّيته كمدًا يموتُ[٤]

---

(١) ((جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله-)) لمحمد إبراهيم الحمد. بتصرُّف (ص ٢٢٠).
(٢) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربِّه (٣/١٠٤).
(٣) ((ديوان الإمام الشَّافعي)) (ص ٣٣).
(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٣٩).

وقال أيضا:

إذا سبَّني نذلٌ تزايدت رفعةً وما العيبُ إلَّا أن أكونَ مسابِبه

ولو لم تكنْ نفسي عليَّ عزيزةً لمكَّنتُها مِن كلِّ نذلٍ تحاربُه

ولو أنَّني أسعى لنفعي وجدتني كثيرَ التَّواني للَّذي أنت طالبُه

ولكنَّني أسعى لأنفعَ صاحبي وعارٌ على الشَّبعانِ إن جاع صاحبُه[1]

وقال الشاعر:

وإني لأترك عورَ الكلا مِ لئلَّا أجابَ بما أكرهُ

وأغضى على الكلمِ المحْفِظا تِ وأحْلُمُ والحِلْمُ بي أشبهُ

فلا تغترِرْ برواءِ الرِّجال وما زخرفوا لك أو موَّهوا

فكم مِن فتى يعجبُ النَّاظريـ ـن له ألسنٌ وله أوجهُ

ينامُ إذا حضر المكرما تِ وعند الدَّناءةِ يستنبهُ[2]

وقال آخر:

تخالهم للحِلْم صمًّا عن الخنا وخرسًا عن الفحشاء عند التهاترِ

ومرضى إذا لاقوا حياءً وعفةً وعند الحروب كاللُّيوثِ الخوادرِ

لهم ذلُّ إنصافٍ ولينُ تواضعٍ بهم ولهم ذلَّت رقابُ المعاشرِ

كأنَّ بهم وصمًا يخافون عارَه وما وَصمُهم إلَّا اتقاءُ المعايرِ[3]

وقال آخر:

ألم تر أنَّ الحِلْم زَيْنٌ مُسَوِّدٌ لصاحبِه والجهلُ للمرءِ شائنُ

---

(١) ((ديوان الإمام الشَّافعي)) (ص ٣٣).

(٢) ((الحِلْم)) لابن أبي الدُّنيا (ص ٢٩).

(٣) ((الأمالي)) للقالي (٢٣٨/١).

فكن دافنًا للجهل بالحِلْم تسترحْ مِن الجهل إنَّ الحِلْمَ للجهلِ دافنُ[١]

وقال الشاعر:

ألَا إنَّ حِلْمَ المرءِ أكبرُ نسْبةٍ يُسامى بها عند الفخار كريمُ

فيا ربِّ هَبْ لي منك حِلْمًا فإنَّني أرى الحِلْمَ لم يندمْ عليه حليمُ[٢]

وقال الشاعر:

وفي الحِلم رَدْعٌ للسَّفِيه عن الأذى وفي الخُرق إغراءٌ فلا تَكُ أَخْرَقا

فَتَنْدَمَ إذ لا تنفعنك ندامةٌ كما ندِم المغْبُونُ لما تَفَرَّقا[٣]

وقال الشاعر:

رجعت على السَّفِيه بفضلِ حِلْمٍ وكان الفعلُ عنه له لجَاما

وظنَّ بي السَّفاهَ فلم يجدني أسافِهُه وقلتُ له سلاما

فقام يجرُّ رجليه ذليلًا وقد كسب المذمَّةَ والملاما

وفضلُ الحِلْمِ أبلغُ في سفيهٍ وأحرى أن ينالَ به انتقاما[٤]

وقال الآخر:

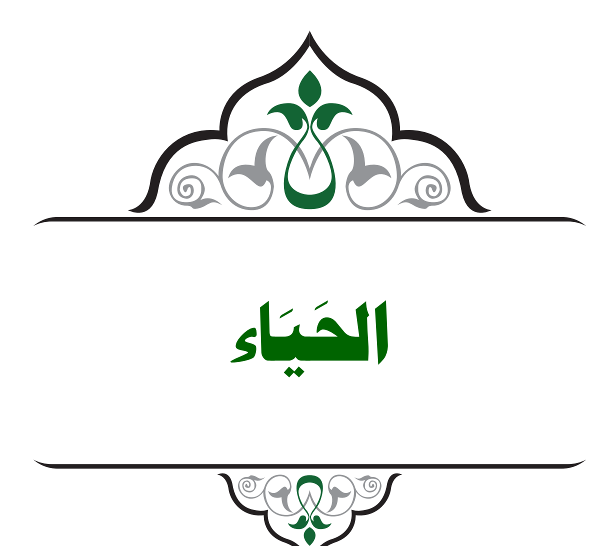
أيا مَن تدَّعي شتمي سفاهًا عجلت عليَّ خيرًا يا أخيَّا

أكسيك الثَّواب بِبِنْتِ شتمي وأستدعي به إثمًا إليَّا

فأنت إذن وقد أصبحت ضدًّا أعزُّ عليَّ مِن نفسي عليَّا[٥]

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٢٠٩).
(٢) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (٢/١٤٠).
(٣) ((المصدر السابق)) (١/١٨٠).
(٤) ((الحِلْم)) لابن أبي الدُّنيا (ص ٣٤).
(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٤٨).



الحَيَاء

الحَيَاء

معنى الحَيَاء لغةً واصطلاحًا:

- **معنى الحَيَاء لغةً:**

الحياء: الحشمة، ضد الوقاحة. وقد حيي منه حياء واستحيا واستحى فهو حَيِيٌّ، وهو الانقباض والانزواء(١).

- **معنى الحَيَاء اصطلاحًا:**

هو: (انقباض النَّفس مِن شيءٍ وتركه حذرًا عن اللَّوم فيه)(٢).

وقال ابن حجر: (الحَيَاء: خُلُق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح، ويمنع مِن التقصير في حقِّ ذي الحقِّ)(٣).

وقيل هو: (تغيُّر وانكسار يعتري الإنسان مِن خوف ما يُعَاب به ويُذَمُّ، ومحلُّه الوجه)(٤).

الفرق بين الحَيَاء والخجل:

(الخجل: معنى يظهر في الوجه لغمٍّ يلحق القلب، عند ذهاب حجَّةٍ، أو ظهور على ريبة، وما أشبه ذلك، فهو شيء تتغير به الهيبة.

والحَيَاء: هو الارتداع بقوَّة الحَيَاء، ولهذا يُقَال: فلانٌ يستحي في هذا الحال أن يفعل كذا، ولا يقال: يخجل أن يفعله في هذه الحال؛ لأنَّ هيئته لا تتغيَّر

---

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١٢٢/٢)، ((لسان العرب)) (٢١٧/١٤)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١٦٠/١).

(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص ٩٤).

(٣) ((فتح الباري)) لابن رجب (٥٢/١).

(٤) ((التبيان في تفسير غريب القرآن)) لابن الهائم (ص ٦١).

منه قبل أن يفعله، فالخَجَل ممَّا كان والحَيَاء ممَّا يكون.

وقد يُسْتَعمل الحَيَاء موضع الخَجَل توسُّعًا، وقال الأنباري: أصل الخَجَل في اللُّغة: الكَسَل والتَّواني وقلَّة الحركة في طلب الرِّزق، ثمَّ كثر استعمال العرب له حتى أخرجوه على معنى الانقطاع في الكلام.

وفي الحديث: ((إذا جعتنَّ وقعتنَّ، وإذا شبعتنَّ خجلتنَّ))[(١)]، «وقعتنَّ» أي: ذللتنَّ، و«خجلتن»: كسلتن.

وقال أبو عبيدة: الخَجَل هاهنا الأَشَر، وقيل هو سوء احتمال العناء.

وقد جاء عن العرب الخَجَل بمعنى: الدَّهش.

قال الكُمَيْتُ:

فلم يدفعوا عندنا ما لهم لوقع الحروب ولم يخجلوا

أي لم يبقوا دهشين مبهوتين)[(٢)].

التَّرغيب في الحَيَاء:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦].

فُسِّر لباس التَّقوى بأنَّه الحَيَاء كما رُوِي عن الحسن[(٣)]، ومعبد الجهني[(٤)].

- قال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ

(١) ذكره المتقي الهندي في ((كنز العمال)) (٣٧٧/٦) وقال: رواه ابن الأنباري في كتاب الأضداد عن منصور بن المعتمر مرسلًا.

(٢) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص ٢٤٤).

(٣) ((تفسير الآلوسي)) (٣٤٤/٤).

(٤) ((تفسير الثَّعالبي)) (١٩/٣).

لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥].

قال مجاهد: (يعْني: واضعةً ثوبها على وجهها ليست بخَرَّاجةٍ ولا وَلَّاجةٍ)[١].

قال الطَّبري: (فأَتَتْهُ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)، وهي تسْتَحْيِي منه)[٢].

- وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب:٥٣].

قال ابن كثير: (قيل: المراد أنَّ دخولكم منزله بغير إذنه، كان يشُقُّ عليه ويتأذَّى به، لكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك مِن شدَّة حَيَائه عليه السَّلام، حتى أنزل الله عليه النَّهي عن ذلك)[٣].

وقال الشَّوكاني: (أي:يسْتَحْيِي أن يقول لكم: قوموا، أو اخرجوا)[٤].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ ممَّا أدرك النَّاس مِن كلام النُّبوَّة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت))[٥].

---

(١) ((تفسير مجاهد)) (ص٥٢٩).
(٢) ((جامع البيان)) للطبري (٢٢١/١٨).
(٣) ((تفسير ابن كثير)) (٤٥٤/٦).
(٤) ((فتح القدير)) (٣٤٢/٤).
(٥) رواه البخاري (٦١٢٠).

قال الخطَّابي: (قال الشَّيخ: معنى قوله ((النُّبوَّة الأولى)) أنَّ الحَيَاء لم يزل أمره ثابتًا، واستعماله واجبًا منذ زمان النُّبوَّة الأولى، وأنه ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد نَدَب إلى الحَيَاء وبُعِث عليه، وأنَّه لم ينسخ فيما نسخ مِن شرائعهم، ولم يُبَدَّل فيما بُدِّل منها)[١].

قال ابن القيِّم: (خُلق الحَيَاء مِن أفضل الأخلاق وأجلِّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانيَّة، فمَن لا حياء فيه، فليس معه مِن الإنسانيَّة إلَّا اللَّحم والدَّم وصورتهما الظَّاهرة، كما أنَّه ليس معه مِن الخير شيء)[٢].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستُّون- شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلَّا الله. وأدناها: إماطة الأذى عن الطَّريق. والحياء شعبة مِن الإيمان))[٣].

قال الخطَّابي: (معنى قوله: ((الحَيَاء شعبة مِن الإيمان)) أنَّ الحَيَاء يقطع صاحبه عن المعاصي ويحجزه عنها، فصار بذلك مِن الإيمان)[٤].

و(إنَّما أفرد صلَّى الله عليه وسلَّم هذه الخصلة مِن خصال الإيمان في هذا الحديث، وخصَّها بالذِّكر دون غيرها مِن باقي شعب الإيمان؛ لأنَّ الحَيَاء كالدَّاعي إلى باقي الشُّعب، فإنَّ صاحب الحَيَاء يخاف فضيحة الدُّنْيا والآخرة فيأتمر وينزجر، فلمَّا كان الحَيَاء كالسَّبب لفعل باقي الشُّعب؛ خُصَّ بالذِّكر ولم يذكر غيره معه)[٥].

(١) ((معالم السنن)) للخطَّابي (١٠٩/٤).
(٢) ((مفتاح دار السَّعادة)) (٢٧٧/١) بتصرُّف يسير.
(٣) رواه مسلم (٣٥)
(٤) ((معالم السنن)) (٣١٢/٤).
(٥) ((المجالس الوعظيَّة في شرح أحاديث خير البريَّة)) للسفيري (٣٦٥/١).

وقال السعدي: (هذا الحديث مِن جملة النُّصوص الدَّالة على أنَّ الإيمان اسمٌ يشمل عقائد القلب وأعماله، وأعمال الجوارح، وأقوال اللِّسان، فكلُّ ما يقرِّب إلى الله، وما يحبُّه ويرضاه مِن واجبٍ ومستحبٍّ فإنَّه داخلٌ في الإيمان. وذكر هنا أعلاه وأدناه، وما بين ذلك وهو: الحَيَاء. ولعلَّ ذكر الحَيَاء؛ لأنَّه السَّبب الأقوى للقيام بجميع شعب الإيمان. فإنَّ مَن استحيا مِن الله لتواتر نعمه، وسوابغ كرمه، وتجلِّيه عليه بأسمائه الحسنى، -والعبد مع هذا كثير التَّقصير مع هذا الرَّبِّ الجليل الكبير، يظلم نفسه ويجني عليها- أوجب له هذا الحَيَاء التوقِّي مِن الجرائم، والقيام بالواجبات والمستحبَّات)[١].

- وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((الحَيَاء لا يأتي إلَّا بخير))[٢].

قال ابن بطَّال: (معناه أنَّ مَن استحيا مِن النَّاس أن يروه يأتي الفجور ويرتكب المحارم، فذلك داعيةٌ له إلى أن يكون أشدَّ حياءً مِن ربِّه وخالقه، ومَن استحيا مِن ربِّه فإنَّ حياءه زاجرٌ له عن تضييع فرائضه وركوب معاصيه؛ لأنَّ كلَّ ذي فطرة صحيحة، يعلم أنَّ الله تعالى النَّافع له والضَّار والرَّزاق والمحيي والمميت، فإذا عَلِم ذلك فينبغي له أن يستحيي منه عزَّ وجلَّ)[٣].

قال ابن رجب: (... ((الحياء لا يأتي إلَّا بخير)): فإنَّه يكفُّ عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحثُّ على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو مِن خصال الإيمان بهذا الاعتبار)[٤].

---

(١) ((بهجة قلوب الأبرار)) (ص ١٧٩).
(٢) رواه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).
(٣) ((شرح صحيح البخاري)) (٩/٢٩٧).
(٤) ((جامع العلوم والحكم)) (١/٥٠١).

قال ابن حجر: (إذا صار الحَيَاء عادة، وتخَلَّق به صاحبه، يكون سببًا يجلب الخير إليه، فيكون منه الخير بالذَّات والسَّبب)[١].

فالحَيَاء فضيلة مِن فضائل الفطرة، وهو مادَّة الخير والفضيلة، وبهذا وصفه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله: ((الحَيَاء خيرٌ كلُّه)).

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، مرَّ على رجل، وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: إنَّك لتستحيي حتى كأنَّه يقول: قد أضرَّ بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((دعه، فإنَّ الحياء مِن الإيمان))[٢].

قال ابن بطَّال: (معناه أنَّ الحَيَاء مِن أسباب الإيمان وأخلاق أهله؛ وذلك أنَّه لما كان الحَيَاء يمنع مِن الفواحش، ويحمل على الصَّبر والخير، كما يمنع الإيمان صاحبه مِن الفجور، ويقيِّده عن المعاصي، ويحمله على الطَّاعة، صار كالإيمان لمساواته له في ذلك، وإن كان الحَيَاء غريزة، والإيمان فعل المؤمن، فاشتبها مِن هذه الجهة)[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((استحيوا مِن الله حقَّ الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله إنَّا لنستحيي، والحمد للَّه. قال: ليس ذاك، ولكنَّ الاستحياء مِن الله حقَّ الحياء: أن تحفظ الرَّأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتتذكَّر الموت والبِلَى، ومَن أراد الآخرة، ترك زينة الدُّنيا، فمَن فعل ذلك، فقد استحيا مِن الله حقَّ الحياء))[٤].

---

(١) ((فتح الباري)) (١٠/٥٢٢).

(٢) رواه البخاري (٦١١٨)

(٣) ((شرح صحيح البخاري)) (٩/٢٩٨).

(٤) رواه الترِّمذي (٢٤٥٨) مِن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقال: غريب. وحسَّن إسناده النَّووي في ((المجموع)) (٥/١٠٥)، وحسَّنه الألباني في ((صحيح الترِّمذي)) (٢٤٥٨).

قال ابن رجب: (يدخل فيه حفظ السَّمع والبصر واللِّسان مِن المحرَّمات، وحفظ البطن وما حوى، يتضمَّن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرَّم الله، ويتضمَّن أيضًا حفظ البطن مِن إدخال الحرام إليه مِن المآكل والمشارب، ومِن أعظم ما يجب حفظه مِن نواهي الله عزَّ وجلَّ اللِّسان والفرج)[1].

وقال المباركفوريُّ في شرح الحديث: (قوله: ((استحيوا مِن الله حقَّ الحَيَاء)). أي: حياءً ثابتًا ولازمًا صادقًا، قاله المناويُّ، وقيل: أي: اتَّقوا الله حقَّ تقاته.

((قلنا يا نبيَّ الله إنَّا لنستحيي)). لم يقولوا: حقَّ الحَيَاء؛ اعترافًا بالعجز عنه.

((والحمد لله)). أي على توفيقنا به.

((قال: ليس ذاك)). أي: ليس حقَّ الحَيَاء ما تحسبونه، بل أن يحفظ جميع جوارحه عمَّا لا يرضى.

((ولكن الاستحياء مِن الله حقَّ الحَيَاء: أن تحفظ الرَّأس)). أي: عن استعماله في غير طاعة الله، بأن لا تسجد لغيره، ولا تصلِّي للرِّياء، ولا تخضع به لغير الله، ولا ترفعه تكبُّرًا.

((وما وعى)). أي: جمعه الرَّأس مِن اللِّسان والعين والأذن عمَّا لا يحلُّ استعماله.

((وتحفظ البطن)). أي: عن أكل الحرام.

((وما حوى)). أي ما اتصل اجتماعه به مِن الفرج والرِّجلين واليدين والقلب، فإنَّ هذه الأعضاء متَّصلة بالجوف، وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي، بل في مرضاة الله تعالى.

---

(١) ((جامع العلوم والحكم)) (ص ٤٦٤).

((وتتذكَّر الموت والبِلَى)). بكسر الباء، مِن بَلَى الشَّيء إذا صار خَلِقًا متفتِّتًا، يعني تتذكَّر صيرورتك في القبر عظامًا بالية.

((ومَن أراد الآخرة ترك زينة الدُّنْيا)). فإنَّهما لا يجتمعان على وجه الكمال حتى للأقوياء، قاله القاري.

وقال المناويُّ: لأنَّهما ضرَّتان، فمتى أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى)[1].

- وعن يَعْلَى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلًا يغتسل بالبَرَاز فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يحبُّ الحَيَاء والسَّتْر، فإذا اغتسل أحدكم فليَسْتَتِر))[2].

- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما كان الفُحْش في شيء إلَّا شانه، وما كان الحَيَاء في شيء إلَّا زَانَهُ))[3].

أقوال السَّلف والعلماء في الحَيَاء:

- قال عمر رضي الله عنه: (مَن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومَن قلَّ ورعه مات قلبه)[4].

- قال ابن القيِّم في حقيقة الحَيَاء: (قال صاحب المنازل: الحَيَاء: مِن

(١) ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (٧/١٣٠-١٣١).

(٢) رواه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦). وصحَّحه النَّوويُّ في ((الخلاصة)) (١/٢٠٤)، وقال الشَّوكاني في ((نيل الأوطار)) (١/٣١٧): رجال إسناده رجال الصَّحيح.

(٣) رواه الترِّمذي (١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥)، وأحمد (٣/١٦٥) (١٢٧١٢). قال الترِّمذي: حسنٌ غريب. وقال ابن حجر في ((تخريج المشكاة)) (٤/٣٨٦): رجاله رجال الصَّحيح، وصححه الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (٢٦٣٥).

(٤) رواه الطَّبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢/٣٧٠)، والبيهقي في ((الشُّعب)) (٧/٥٩) مِن حديث الأحنف بن قيس رضي الله عنه. قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/٣٠٥): فيه دويد بن مجاشع، ولم أعرفه، وبقيَّة رجاله ثقات.

أوَّل مدارج أهل الخصوص، يتولَّد مِن تعظيمٍ منوطٍ بودٍّ. إنَّما جَعَل الحَيَاء مِن أوَّل مدارج أهل الخصوص: لما فيه مِن ملاحظة حضور مَن يستَحيي منه، وأوَّل سلوك أهل الخصوص: أن يروا الحقَّ سبحانه حاضرًا معهم، وعليه بناء سلوكهم. وقوله: إنَّه يتولَّد مِن تعظيمٍ منوطٍ بودٍّ. يعني: أنَّ الحَيَاء حالة حاصلة مِن امتزاج التَّعظيم بالمودَّة، فإذا اقترنا تولَّد بينهما الحَيَاء، والجنيد يقول: إنَّ تولُّده مِن مشاهدة النِّعم ورؤية التَّقصير، ومنهم مَن يقول: تولُّده مِن شعور القلب بما يستحيي منه، فيتولَّد مِن هذا الشُّعور والنُّفرة، حالةٌ تُسَمَّى: الحَيَاء، ولا تنافي بين هذه الأقوال، فإنَّ للحياء عدَّة أسباب)[1].

- وقال أيضًا: (حياة القلب يكون فيه قوَّة خُلُق الحَيَاء، وقلَّة الحَيَاء مِن موت القلب والرُّوح، فكلَّما كان القلب أحيى كان الحَيَاء أتم.

- قال الجنيد: الحَيَاء: رؤية الآلاء ورؤية التَّقصير، فيتولَّد بينهما حالة تُسمَّى الحَيَاء، وحقيقته: خُلُقٌ يبعث على ترك القبائح، ويمنع مِن التَّفريط في حقِّ صاحب الحقِّ).

- وقال الفضيل بن عياض: (خمسٌ مِن علامات الشَّقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلَّة الحَيَاء، والرَّغبة في الدُّنْيا، وطول الأمل)[2].

- وقال أبو عبيدة النَّاجي: سمعت الحسن يقول: (الحَيَاء والتَّكرُّم خصلتان مِن خصال الخير، لم يكونا في عبد إلَّا رفعه الله عزَّ وجلَّ بهما)[3].

- (وقال ابن عطاء: العلم الأكبر: الهيبة والحَيَاء؛ فإذا ذهبت الهيبة والحَيَاء، لم يبق فيه خير.

---

(١) ((مدارج السَّالكين)) (٢/٢٥٣).

(٢) رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٠/١٨٢)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٨/٤١٦).

(٣) ((مكارم الأخلاق)) لابن أبي الدُّنْيا (١/٤٣).

- وقال ذو النُّون المصري: الحَيَاء، وجود الهيبة في القلب، مع وحشة ما سبق منك إلى ربِّك تعالى.

- وقال أبو عثمان: مَن تكلَّم في الحَيَاء ولا يستحي مِن الله عزَّ وجلَّ فيما يتكلَّم به، فهو مُستَدرَج.

- وقال الجريري: تعامل القرن الأوَّل مِن النَّاس فيما بينهم بالدِّين، حتى رقَّ الدِّين.. ثمَّ تعامل القرن الثَّاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء، ثمَّ تعامل القرن الثَّالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثمَّ تعامل القرن الرَّابع بالحَيَاء حتى ذهب الحَيَاء، ثمَّ صار النَّاس يتعاملون بالرَّغبة والرَّهبة.

- وقيل: مِن علامات المستحي: أن لا يُرى بموضع يُسْتَحَيا منه)[١].

- وقال ابن أبي الدُّنْيا: (قيل لبعض الحكماء: ما أنفع الحَيَاء؟ قال: أن تستحي أن تسأله ما تحبُّ، وتأتي ما يكره)[٢].

- وقال ربيط بني إسرائيل: (زين المرأة الحَيَاء، وزين الحكيم الصَّمت)[٣].

فوائد الحَيَاء:

١- أن الحَيَاء مِن خصال الإيمان.

٢- هجر المعصية خجلًا من الله سبحانه وتعالى.

٣- الإقبال على الطَّاعة بوازع الحبِّ لله عزَّ وجلَّ.

٤- يبعد عن فضائح الدُّنْيا والآخرة.

٥- أصل كلِّ شعب الإيمان.

---

(١) ((الرسالة القشيرية)) (٢/٣٦٨-٣٦٩) بتصرُّف.

(٢) ((التَّوبة)) (ص ٩١).

(٣) ((الصَّمت)) لابن أبي الدُّنْيا (ص ٢٦٣).

٦- يكسو المرء الوَقَار فلا يفعل ما يخلُّ بالمروءة والتوقير ولا يؤذي مَن يستحقُّ الإكرام.

٧- لا يمنع مِن مواجهة أهل الباطل ومرتكبي السوء.

٨- مَن استحى مِن الله ستره الله في الدُّنْيا والآخرة.

٩- يُعدُّ صاحبه مِن المحبوبين عند الله وعند النَّاس.

١٠- يمنع الشَّخص عن الفواحش، ويجعله يستتر بها إذا هو سقط في شيء مِن أوحالها.

١١- يدفع المرء إلى التَّحلِّي بكلِّ جميل محبوب، والتَّخلِّي عن كلِّ قبيح مكروه[١].

أقسام الحَيَاء:

(ينقسم الحَيَاء باعتبار محلِّه إلى قسمين:

١- القسم الأوَّل: حياء فطريٌّ: وهو الذي يُولَد مع الإنسان متزوِّدًا به، ومِن أمثلته: حياء الطِّفل عندما تنكشف عورته أمام النَّاس، وهذا النَّوع مِن الحَيَاء منحة أعطاها الله لعباده.

٢- والقسم الثَّاني: حياء مكتسب: وهو الذي يكتسبه المسلم مِن دينه، فيمنعه مِن فعل ما يُذَمُّ شرعًا، مخافة أن يراه الله حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره.

وينقسم باعتبار متعلَّقه إلى قسمين:

١- القسم الأوَّل: الحَيَاء الشَّرعي: وهو الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام، وهو محمود.

(١) ((الأخلاق الإسلاميَّة)) لعبد الرَّحمن الميداني (٢/٤٩١).

٢- القسم الثَّاني: الحَيَاء غير الشَّرعي: وهو ما يقع سببًا لترك أمر شرعي، وهذا النَّوع مِن الحَيَاء مذموم، وهو ليس بحياء شرعي، وإنَّما هو ضعف ومهانة)[١].

صور الحياء:

من صور الحياء المحمود:

الحَيَاء مِن الله: وذلك بالخوف منه ومراقبته، وفعل ما أمر واجتناب ما نهى عنه، وأن يستحي المؤمن أن يراه الله حيث نهاه، وهذا الحَيَاء يمنع صاحبه مِن ارتكاب المعاصي والآثام؛ لأنَّه مرتبطٌ بالله يراقبه في حِلِّه وترحاله.

- الحَيَاء مِن الملائكة: وذلك عندما يستشعر المؤمن بأنَّ الملائكة معه يرافقونه في كلِّ أوقاته، ولا يفارقونه إلَّا عندما يأتي الغائط، وعندما يأتي أهله.

- الحَيَاء مِن النَّاس: وهو دليلٌ على مروءة الإنسان؛ فالمؤمن يستحي أن يؤذي الآخرين سواءً بلسانه أو بيده، فلا يقول القبيح ولا يتلفَّظ بالسُّوء، ولا يطعن أو يغتاب أو ينم، وكذلك يستحي مِن أن تنكشف عوراته فيطَّلع عليها النَّاس.

صور الحَيَاء المذموم:

مِن صور الحَيَاء المذموم:

- الحَيَاء في طلب العلم:

إذا تعلَّق الحَيَاء بأمر دينيٍّ، يمنع الحَيَاء مِن السُّؤال فيه أو عرضه في تعليم أو دعوة، فإنَّ ممَّا ينبغي حينها، رفع الحرج، ومدافعة هذا الحَيَاء الذي يمنع مِن التَّحصيل العلمي أو الدَّعوة إلى الله سواءً عند الرِّجال أو النساء[٢].

---

(١) ((الأخلاق الإسلاميَّة)) لحسن السعيد المرسي (ص ١٤٦).

(٢) ((المرأة المسلمة المعاصرة.. إعدادها ومسؤوليتها في الدَّعوة)) لأحمد بن محمد أبا بطين (٣٨٨-٣٨٩).

فقد ورد أنَّ أمَّ سليم رضي الله عنها ((جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إنَّ الله لا يستحيي مِن الحقِّ، فهل على المرأة مِن غسلٍ إذا احتلمت؟ قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: إذا رأت الماء. فغطَّت أمُّ سلمة -تعني وجهها- وقالت: يا رسول الله وتحتلم المرأة؟! قال: نعم، تَرِبَت يمينك، فيمَ يشبهها ولدها))[1].

وعن مجاهد، قال: (إنَّ هذا العلم لا يتعلَّمه مستحٍ ولا متكبِّرٍ)[2].

وعن سعيد بن المسيب ((أنَّ أبا موسى قال لعائشة -رضي الله عنها-: إنِّي أريد أن أسألكِ عن شيءٍ وإنِّي أستحييك. فقالت: لا تستحيي أن تسألني عمَّا كنت سائلًا عنه أمَّك التي ولدتك، فإنَّما أنا أمُّك. قلت: فما يوجب الغسل؟ قالت: على الخبير سقطت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا جلس بين شُعَبِها الأربع، ومسَّ الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل))[3].

ورُوِي عن الأسود ومَسْرُوق قال: ((أتينا عائشة لنسألها عن المباشرة للصَّائم، فاستحينا فقمنا قبل أن نسألها، فمشينا لا أدري كم، ثمَّ قلنا: جئنا لنسألها عن حاجة ثمَّ نرجع قبل أن نسألها؟ فرجعنا فقلنا: يا أمَّ المؤمنين، إنَّا جئنا لنسألك عن شيء فاستحينا فقمنا. فقالت: ما هو؟ سلا عمَّا بدا لكما. قلنا: أكان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صائم؟ قالت: قد كان يفعل ذلك، ولكنَّه كان أملك لإِرْبِه[4] منكم))[5].

---

(١) رواه البخاري (١٣٠)، ومسلم (٣١٣)

(٢) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم (٣/٢٨٧).

(٣) رواه مسلم (٣٤٩)

(٤) لأرْبِه: لحاجته، تعني أنه كان غالبًا لهواه. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (١/٣٦).

(٥) رواه أحمد (٦/٢١٦) (٢٥٨٥٧) مِن حديث عائشة رضي الله عنها. والحديث مرويٌّ في الصَّحيحين بدون ذكر القصَّة.

- الحَيَاءِ مِن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر:

الحَيَاء لا يمنع المسلم مِن أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

بل الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر سمة مِن سمات هذه الأمَّة، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مع شدَّة حيائه، لم يثنه ذلك عن قول الحقِّ، ويتبيَّن ذلك في موقفه مع أسامة بن زيد رضي الله عنهما، حينما أراد أن يشفع في حدٍّ مِن الحدود، فلم يمنعه حياؤه صلى الله عليه وسلم مِن أن يقول لأسامة في غضب: أتشفع في حدٍّ مِن حدود الله؟! ثمَّ قام فاختطب، ثمَّ قال: إنَّما أهلك الذين قبلكم أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشَّريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضَّعيف أقاموا عليه الحدَّ، وايم الله لو أنَّ فاطمة بنت محمَّد سرقت لقطعت يدها[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنَّ الله ليسأل العبدَ يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذْ رأيتَ المنكر أن تنكره؟ فإذا لقَّن الله عبدًا حجَّته قال: يا ربِّ! رجوتُك وفَرِقْتُ مِن النَّاس))[(٢)].

- فعل أمر نهى عنه الشَّارع:

فمَن دفعه حياؤه إلى فعل أمرٍ نهى عنه الشَّارع، أو إلى ترك واجب مرغوب

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) مِن حديث عائشة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٧)، والحميدي في ((مسنده)) (٧٥٦). قال ابن كثير في ((تفسير القرآن)) (١٥٥/٣): إسناده لا بأس به. وصحَّحه الألباني في ((صحيح ابن ماجه)) (٣٢٦٠)، وحسَّنه الوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (٤٠٣).

في الدِّين فليس حييًّا شرعًا، وإنَّما هذا يعتبر ضعفًا ومهانة.

فليس مِن الحَيَاء أن يترك الصَّلاة الواجبة بسبب ضيوفٍ عنده حتى تفوته الصَّلاة. وليس مِن الحَيَاء أن يمتنع الشَّخص مِن المطالبة بالحقوق التي كفلها له الشَّرع(١).

صور الحَيَاء كما ذكرها ابن القيِّم:

ذكر ابن القيِّم صورًا للحياء وقسَّمها إلى عشرة أوجه وهي:

(حياء جناية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حِشْمَة، وحياء استصغارٍ للنَّفس واحتقارٍ لها، وحياء محبَّة، وحياء عبوديَّة، وحياء شرف وعزَّة، وحياء المستحيي مِن نفسه.

فأمَّا حياء الجناية: فمنه حياء آدم عليه السَّلام لما فرَّ هاربًا في الجنَّة، قال الله تعالى: أفرارًا منِّي يا آدم؟ قال: لا يا ربِّ، بل حياءً منك.

وحياء التَّقصير: كحياء الملائكة الذين يسبِّحون اللَّيل والنَّهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك! ما عبدناك حقَّ عبادتك.

وحياء الإجلال: هو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد بربِّه، يكون حياؤه منه.

وحياء الكَرَم: كحياء النَّبيِّ مِن القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب وطوَّلوا الجلوس عنده، فقام واستحيي أن يقول لهم: انصرفوا.

وحياء الحِشْمَة: كحياء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن يسأل رسول الله عن المذْي لمكان ابنته منه.

---

(١) ((الأخلاق الإسلاميَّة)) لحسن السعيد (ص ١٥٥).

وحياء الاستحقار واستصغار النَّفس: كحياء العبد مِن رَبِّه عزَّ و جلَّ حين يسأله حوائجه، احتقارًا لشأن نفسه واستصغارًا لها...

وقد يكون لهذا النَّوع سببان:

أحدهما: استحقار السَّائل نفسه، واستعظام ذنوبه وخطاياه.

والثَّاني: استعظام مسؤوله.

وأمَّا حياء المحبَّة: فهو حياء المحبِّ مِن محبوبه، حتى إنَّه إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحَيَاء مِن قلبه، وأحسَّ به في وجهه، ولا يدرى ما سببه، وكذلك يعرض للمحبِّ عند ملاقاته محبوبه ومناجاته له روعةٌ شديدةٌ، ومنه قولهم: جمال رائع، وسبب هذا الحَيَاء والرَّوعة، ممَّا لا يعرفه أكثر النَّاس.

ولا ريب أنَّ للمحبَّة سلطانًا قاهرًا للقلب، أعظم مِن سلطان مَن يقهر البدن، فأين مَن يقهر قلبك وروحك إلى مَن يقهر بدنك؟ ولذلك تعجَّبت الملوك والجبابرة مِن قهرهم للخَلْق، وقهر المحبوب لهم وذلهم له، فإذا فاجأ المحبوب مُحِبَّه ورآه بغتةً: أحسَّ القلب بهجوم سلطانه عليه فاعتراه روعةٌ وخوف...

وأمَّا الحَيَاء الذي يعتريه منه -وإن كان قادرًا عليه كأمته وزوجته- فسببه والله أعلم أنَّ هذا السُّلطان لـمَّا زال خوفه عن القلب، بقيت هيبته واحتشامه، فتولَّد منها الحَيَاء، وأمَّا حصول ذلك له في غيبة المحبوب فظاهرٌ لاستيلائه على قلبه، فوهمه يغالطه عليه ويكابره حتى كأنَّه معه.

وأمَّا حياء العبوديَّة: فهو حياء ممتزجٌ مِن محبَّة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديَّته لمعبوده، وأنَّ قدره أعلى وأجلُّ منها، فعبوديَّته له توجب استحياءه منه لا محالة.

وأما حياء الشَّرف والعزَّة، فحياء النَّفس العظيمة الكبيرة، إذا صدر منها ما هو دون قدرها مِن بذلٍ أو عطاءٍ وإحسانٍ، فإنَّه يستحيي -مع بذله- حياء شرف نفسٍ وعزَّةٍ، وهذا له سببان: أحدهما: هذا. والثَّاني: استحياؤه مِن الآخذ حتى كأنَّه هو الآخذ السَّائل، حتى إنَّ بعض أهل الكَرَم لا تطاوعه نفسه بمواجهته لمن يعطيه حياءً منه، وهذا يدخل في حياء التَّلوُّم؛ لأنَّه يستحيي مِن خَجْلَة الآخذ.

وأما حياء المرء مِن نفسه: فهو حياء النُّفوس الشَّريفة العزيزة الرَّفيعة مِن رضاها لنفسها بالنَّقص وقناعتها بالدُّون، فيجد نفسه مستحيًا مِن نفسه حتى كأنَّ له نفسين يستحيي بإحداهما مِن الأخرى، وهذا أكمل ما يكون مِن الحَيَاء؛ فإنَّ العبد إذا استحيي مِن نفسه فهو بأن يستحيي مِن غيره أجدر)[1].

مِن مظاهر قلَّة الحَيَاء:

- المجاهرة بالذُّنوب والمعاصي وعدم الخوف مِن الله.

- لبس النِّساء الكاسيات العاريات الملابس التي تصف الأجسام، أو الضَّيِّقة أو المفتوحة مِن الأعلى والأسفل.

- حديث المرأة مع الرَّجل الأجنبي عند خروجها واختلاطها به.

- التَّلفُّظ والتَّفوُّه بالألفاظ البذيئة والسَّيِّئة التي تجرح الآخرين.

- كلام الرَّجل مع غيره بالأسرار الزَّوجية والأمور الخاصَّة التي تحصل بينه وبين زوجته.

- كشف العورات و عدم سترها.

---

(١) ((مدارج السَّالكين)) لابن القيِّم، بتصرُّف (٢/٢٥٠-٢٥٢).

موانع اكتساب الحَيَاء:

- **الغناء:**

روى البيهقي وابن أبي الدُّنْيا عن أبي عثمان اللَّيثيِّ قال: قال يزيد بن الوليد النَّاقص: (يا بني أميَّة إيَّاكم والغناء؛ فإنَّه ينقص الحَيَاء، ويزيد في الشَّهوة، ويهدم المروءة)[1].

- **ارتكاب المعاصي:**

بيَّن ابن القيِّم أنَّ الذُّنوب والمعاصي تُذْهِب الحَيَاء فقال: (ومِن عقوباتها ذهاب الحَيَاء الذي هو مادَّة الحياة للقلب، وهو أصل كلِّ خير وذهاب كلِّ خير بأجمعه، وفي الصَّحيح عنه أنَّه قال: ((الحَيَاء خير كلُّه)). وقال: ((إنَّ ممَّا أدرك النَّاس مِن كلام النُّبوَّة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت)). وفيه تفسيران: أحدهما أنَّه على التَّهديد والوعيد، والمعنى: مَن لم يستح فإنَّه يصنع ما شاء مِن القبائح؛ إذِ الحامل على تركها الحَيَاء، فإذا لم يكن هناك حياءٌ نزعه مِن القبائح، فإنَّه يواقعها، وهذا تفسير أبي عبيدة، والثَّاني: أنَّ الفعل إذا لم تستح فيه مِن الله فافعله، وإنَّما الذي ينبغي تركه ما يُستحى منه مِن الله، وهذا تفسير الإمام أحمد في رواية ابن هاني، فعلى الأوَّل يكون تهديدًا، كقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصِّلت: ٤٠]، وعلى الثَّاني يكون إذنًا وإباحة، فإن قيل فهل مِن سبيل إلى حمله على المعنيين؟ قلت: لا، ولا على قول مَن يحمل المشترك على جميع معانيه، لما بين الإباحة والتَّهديد مِن المنافاة، ولكن اعتبار أحد المعنيين يوجب اعتبار الآخر، والمقصود: أنَّ الذُّنوب تُضْعِف الحَيَاء مِن العبد حتى ربَّما انسلخ منه بالكلِّيَّة، حتى ربَّما أنَّه لا يتأثَّر بعلم النَّاس بسوء

---

(١) ((روح المعاني)) للألوسي (١١/٦٨).

حاله، ولا باطِّلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعله، والحامل على ذلك انسلاخه مِن الحَيَاء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة، لم يبق في صلاحه مطمع)[1].

الوسائل المعينة على اكتساب الحَيَاء:

الحَيَاء موجود في فطرة الإنسان، وعلينا أن نجعله رفيقًا لنا في كلِّ أقوالنا وأفعالنا، وهناك بعض الوسائل التي تنمِّي هذه الصِّفة وتقوِّيها في نفوسنا، ومِن هذه الوسائل:

١- اتِّباع أوامر الله سبحانه والخوف منه، ومراقبته في كلِّ حين، واستشعار معيته.

٢- اتِّباع سنَّة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في حياته القوليَّة والفعليَّة.

٣- غضُّ البصر عمَّا حرَّم الله سبحانه وتعالى، وعدم تتبُّع عورات الآخرين.

٤- الصَّبر عن المعصية يعين على ملازمة الحَيَاء.

٥- تربية الأولاد على الحَيَاء.

٦- مجالسة مَن يتَّصف بصفة الحَيَاء.

نماذج للحَيَاء:

- **نماذج مِن حَيَاء الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:**

حياء أبينا آدم وأمِّنا حواء:

إنَّ الحَيَاء خاصيَّة مِن الخصائص التي حبا الله بها الإنسان؛ ليبتعد عن مزاولة الذُّنوب والمعاصي والشَّهوات، وحينما أكل آدم وحواء مِن الشجرة التي نهاهما

---

(١) (الجواب الكافي) (٦٩-٧٠).

الله عن الأكل منها، بدت لهما سوءاتهما، فأسرعا يأخذان مِن أوراق الجنَّة ليسترا عوراتهما، فتحدَّث القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ...﴾ [الأعراف: ٢٢].

وهذا يدلُّ على أنَّ الإنسان مفطورٌ على الحَيَاء، وأمَّا قلَّة الحَيَاء فهي منافية للفطرة، بل مِن اتِّباع الشَّيطان.

حياء نبي الله موسى عليه السَّلام:

جاء في وصف موسى عليه السَّلام أنَّه كان حييًّا ستِّيرًا، حتى كان يستر بدنه، ويستحي أن يظهر ممَّا تحت الثِّياب شيئًا حتى ممَّا ليس بعورة. وبسبب تستُّره الزَّائد، آذاه بعض بني إسرائيل في أقوالهم، فقالوا: ما يبالغ في ستر نفسه إلَّا مِن عيب في جسمه، أو مِن أُدْرَة[١] هو مصاب بها[٢].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ موسى كان رجلًا حييًّا ستِّيرًا، لا يُرَى مِن جلده شيء استحياءً منه، فآذاه مَن آذاه مِن بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التَّستُّر إلَّا مِن عيب بجلده، إمَّا برص وإمَّا أُدْرَة وإمَّا آفة. وإنَّ الله أراد أن يبرِّئه ممَّا قالوا لموسى فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثمَّ اغتسل، فلمَّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنَّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملإٍ مِن بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه ممَّا يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه،

(١) الأُدْرَة: نفخة في الخصية. ((لسان العرب)) لابن منظور (٤/١٥).

(٢) ((الأخلاق الإسلاميَّة)) لعبد الرَّحمن الميداني (٢/٤٩٥).

وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فو الله إنَّ بالحجر لندبًا[١] مِن أثر ضربه ثلاثًا، أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]))[٢].

- **نماذج مِن حياء الأمم السَّابقة:**

حياء امرأة صالحة:

قال تعالى: ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥].

وهذه الآية تتحدَّث عن حياء الابنة، حين جاءت إلى موسى عليه السَّلام تدعوه إلى أبيها ليجزيه على صنيعه، فجاءت إليه تمشي على استحياء[٣].

وقال عمر رضي الله عنه: (فأقبلت إليه ليست بسَلْفَعٍ[٤] مِن النِّساء، لا خرَّاجة ولا ولَّاجة، واضعة ثوبها على وجهها)[٥].

حياء العرب في الجاهليَّة:

كان أهل الجاهليَّة يتحرَّجون مِن بعض القبائح بدافع الحَيَاء، فها هو هرقل يسأل أبا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أبو سفيان: (فوالله لولا الحَيَاء مِن أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عنه)[٦]. فمنعه الحَيَاء، من

(١) الندب: الآثر الباقي في الحجر من ضرب موسى -عليه السلام- له. ((فتح الباري)) لابن رجب (١/٣٣٠).
(٢) رواه البخاري (٣٤٠٤).
(٣) ((الأخلاق الإسلاميَّة ودورها في بناء المجتمع)) لجمال نصَّار (ص٢٤٢).
(٤) سليطة جريئة. ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/١٦١).
(٥) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (٦/٣٣٤) (٣١٨٤٢).
(٦) رواه البخاري (٧).

الافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لئلَّا يوصف بالكذب، ويشاع عنه ذلك[١].

قال عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها[٢]

- **نماذج مِن حياءِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم:**

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أشدَّ النَّاس حياءً، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً مِن العذراء في خدرها[٣]))[٤]. وكان إذا كره شيئًا عرفه الصَّحابة في وجهه.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

حياؤه مِن الله:

ومِن مظاهر حيائه صلى الله عليه وسلم حياؤه مِن خالقه سبحانه وتعالى؛ وذلك لما طلب موسى عليه السَّلام مِن نبيِّنا صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء أن يراجع ربَّه في تخفيف فرض الصَّلاة، قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لموسى عليه السَّلام: ((استحييت مِن ربِّي))[٥].

---

(١) ((الأخلاق الإسلاميَّة ودورها في بناء المجتمع)) لجمال نصَّار (٢٤٤).

(٢) ((ديوان عنترة)) (٣٠٨).

(٣) الخدر: ستر يجعل للبكر في جنب البيت. ((شرح النووي على مسلم)) (١٥/٧٨).

(٤) رواه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٥) رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) مِن حديث أبي ذر رضي الله عنه.

حياؤه مِن النَّاس:

مِن ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها ((أنَّ امرأة سألت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم عن غسلها مِن المحيض، فأمرها كيف تغتسل، ثمَّ قال: خذي فرصة مِن مسك فتطهَّري بها. قالت: كيف أتطهر بها؟ قالت: فستر وجهه بطرف ثوبه، وقال: سبحان الله! تطهَّري بها. قالت عائشة: فاجتذبت المرأة فقلت: تتبَّعي بها أثر الدم))[١].

- ومِن صور حيائه صلى الله عليه وسلم، ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه، حيث قال: ((بُنِيَ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بزينب ابنة جحش بخبز ولحم، فأُرْسِلتُ على الطَّعام داعيًا، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثمَّ يجيء قومٌ فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه، فقلت: يا رسول الله، ما أجد أحدًا أدعوه. قال: ارفعوا طعامكم، وبقي ثلاثة رهط يتحدَّثون في البيت، فخرج النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها، فقال: السَّلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته. قالت: وعليك السَّلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك يا رسول الله؟ بارك الله لك، فتقرَّى حُجَر نسائه كلِّهنَّ، يقول لهنَّ كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثمَّ رجع النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدَّثون، وكان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم شديد الحَيَاء، فخرج منطلقًا نحو حُجْرة عائشة فما أدري أخبرته أم أُخْبِر أنَّ القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله في أُسكفَّة الباب داخله والأخرى خارجة، أرخى السِّتر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب))[٢].

---

(١) رواه البخاري (٣١٤).

(٢) رواه البخاري (٤٧٩٣) مِن حديث أنس رضي الله عنه .

حياؤه في تعامله مع مَن بلغه عنه شيء:

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ((إذا بلغه عن الرَّجل الشَّيء لم يقلْ: ما بال فلانٍ يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوامٍ يقولون كذا وكذا؟))[1].

- **نماذج مِن حياء الصَّحابة رضي الله عنهم:**

حياء أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه:

خطب الصِّدِّيق النَّاس يومًا، فقال: (يا معشر المسلمين، استحيوا مِن الله، فو الذي نفسي بيده إنِّي لأظلُّ حين أذهب الغائط في الفضاء متقنِّعًا بثوبي استحياءً مِن ربِّي عزَّ وجلَّ)[2].

حياء عثمان بن عفَّان رضي الله عنه:

عُرِف عثمان رضي الله عنه بشدَّة الحَيَاء، حتى أنَّ الملائكة كانت تستحي منه، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدَّث، ثمَّ استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدَّث، ثمَّ استأذن عثمان، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسوَّى ثيابه - قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد - فدخل فتحدَّث، فلمَّا خرج، قالت عائشة: دخل أبو بكر، فلم تهتش له ولم تباله، ثمَّ دخل عمر

(١) رواه أبو داود (٤٧٨٨)، والطَّحاوي في ((شرح المشكل)) (١١٤/١٥)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٤٢٧/١٠). صححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٤٦٩٢)، وقال الوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (١٦١٢): صحيح على شرط الشَّيخين.

(٢) رواه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٣٤/١)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٤٢/٦) (٧٧٣٢).

فلم تهتش له ولم تباله، ثمَّ دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك، فقال: ألا أستحي مِن رجل تستحي منه الملائكة))[١].

حياء علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

عن عليٍّ رضي الله عنه قال: ((كنت رجلًا مذَّاءً فكنت أستحي أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكان ابنته، فأمرت المقداد فسأله، فقال: يغسل ذكَرَه ويتوضَّأ))[٢].

حياء عائشة رضي الله عنها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أدخل بيتي، الذي دُفِنَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي، فأضع ثوبي، فأقول إنَّما هو زوجي وأبي، فلمَّا دُفِنَ عمر معهم، فو الله ما دخلت إلَّا وأنا مَشْدُودَةٌ عليَّ ثيابي؛ حَيَاءً مِن عمر)[٣].

حياء فاطمة بنت عتبة رضي الله عنها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأخذ عليها أن لا يُشْرِكْنَ بالله شيئًا ولا يَزْنِينَ، الآية. قالت: فوضعت يدها على رأسها حَيَاءً، فأَعْجَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى منها، فقالت عائشة: أَقِرِّي أيَّتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلَّا على هذا. قالت: فنعم إذًا. فبايعها بالآية))[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠١).

(٢) رواه البخاري (١٣٢)، ومسلم (٣٠٣) واللَّفظ له.

(٣) رواه أحمد (٦/٢٠٢) (٢٥٧٠١)، والحاكم (٣/٦٣) (٤٤٠٢) مِن حديث عروة بن الزُّبير -رحمه الله-. قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/٢٩): رجاله رجال الصَّحيح. ومثله قال الألباني في ((تخريج المشكاة)) (١٧١٢).

(٤) رواه أحمد (٦/١٥١) (٢٥٢١٦)، وابن حبان (١٠/٤١٨)، وابن منده في ((الإيمان)) =

• نماذج مِن حياء السَّلف:

- عن الشَّعَبي، قال: سمع عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه امرأة تقول:

دعتني النَّفس بعد خروج عمرو إلى اللَّذَّات تطَّلع اطِّلاعا

فقلت لها عجلت فلن تطاعي ولو طالت إقامته رِبَاعا

أحاذر أن أطيعك سبَّ نفسي ومخزاة تحلِّلني قناعا

فقال لها عمر: (ما الذي منعك مِن ذلك؟ قالت: الحَيَاء وإكرام زوجي. فقال عمر: إنَّ في الحَيَاء لهَنات[1] ذات ألوان، مَن استحيي اختفى، ومَن اختفى اتَّقى، ومَن اتَّقى وُقِي)[2].

- وقال الجرَّاح الحكمي: (تركت الذُّنوب حياءً أربعين سنة، ثمَّ أدركني الورع)[3].

- ورُوِي أنَّ عمرو بن عتبة بن فرقد كان يصلِّي ذات ليلة، فسمعوا صوت الأسد، فهرب مَن كان حوله، وهو قائم يصلِّي فلم ينصرف، فقالوا له: أما خفت الأسد؟ فقال: إنِّي لأستحي مِن الله أن أخاف شيئًا سواه[4].

- وقال جعفر الصَّانع: كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل، رجل ممَّن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يومًا إلى مجلس أحمد يسلِّم

= (٢/٥٨١) مِن حديث عائشة -رضي الله عنها-. قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٦/٤٠): رجال رجاله صحيح. وقال الوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (١٦٣٦): صحيح، وبيعة النساء مذكورة في الصَّحيحين.

(١) هنات: أشياء. انظر: ((الصحاح)) للجوهري (٦/٢٥٣٧).

(٢) ((محاسبة النَّفس)) لابن أبي الدُّنيا (ص ١١٣).

(٣) ((سير أعلام النُّبلاء)) للذهبي (٥/١٩٠).

(٤) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم الأصبهاني (٢/٤٠).

عليه، فكأن أحمد لم يردَّ عليه ردًّا تامًّا وانقبض منه، فقال له: يا أبا عبد الله! لم تنقبض منِّي؟ فإنِّي قد انتقلت عمَّا كنت تعهدني برؤيا رأيتها. قال: وأيُّ شيء رأيت؟ قال: رأيت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النَّوم كأنَّه على علوٍّ مِن الأرض، وناس كثير أسفل جلوس، قال: فيقوم رجلٌ رجلٌ منهم إليه، فيقول: ادع لي! فيدعو له حتى لم يبق مِن القوم غيري، قال: فأردت أن أقوم فاستحييت مِن قبيح ما كنت عليه، قال لي: يا فلان! لم لا تقوم إلي فتسألني أدعو لك؟ قال: قلت: يا رسول الله! يقطعني الحَيَاء لقبيح ما أنا عليه. فقال: إن كان يقطعك الحَيَاء فقم فسلني أدع لك فإنَّك لا تسبُّ أحدًا مِن أصحابي. قال: فقمت، فدعا لي، فانتبهت وقد بغَّض الله إليَّ ما كنت عليه. قال: فقال لنا أبو عبد الله: يا جعفر، يا فلان، حدِّثوا بهذا واحفظوه فإنَّه ينفع[١].

- وكان الرَّبيع بن خُثَيم مِن شدَّة غضه لبصره وإطراقه يَظُنُّ بعض النَّاس أنَّه أعمى، وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة، فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود: صديقك الأعمى قد جاء، فكان يضحك ابن مسعود مِن قولها، وكان إذا دقَّ الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقًا غاضًّا بصره[٢].

- ولما احتُضر الأسود بن يزيد بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: ما لي لا أجزع؟ ومَن أحقُّ منِّي بذلك؟ والله لو أُتيت بالمغفرة مِن الله لأهمَّني الحَيَاء منه ممَّا قد صنعت، وإنَّ الرَّجل ليكون بينه وبين الرَّجل الذَّنْب الصَّغير، فيعفو عنه، ولا يزال مستحييًا منه[٣].

---

(١) ((التوَّابين)) لابن قدامة (ص ١٥٢).
(٢) ((إحياء علوم الدِّين)) للغزَّالي (١/١٨١).
(٣) ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم الأصبهاني (٢/١٠٣).

الحَيَاء في واحة الشِّعر:

قال الشَّاعر:

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ... ولم تستحِ فاصنعْ ما تشاءُ
فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ
يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ... ويبقَى العودُ ما بقي اللِّحاءُ(١)

وقال أميَّة بن أبي الصَّلت يمدح ابن جُدْعَان بالحَيَاء:

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني ... حياؤُك؟ إنَّ شيمتَك الحَيَاءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يومًا ... كفاهُ من تعرُّضِك الثَّناءُ(٢)

وقال آخر:

إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤهُ ... فلا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤهُ
حياءَك فاحفظْه عليك فإنَّما ... يدلُّ على فضلِ الكريمِ حياؤهُ(٣)

وقال آخر:

كريمٌ يغضُّ الطَّرفَ فضلَ حيائِه ... ويدنو وأطرافُ الرِّماحِ دواني
وكالسَّيفِ إن لاينته لَانَ متنُه ... وحدَّاهُ إن خاشنته خَشِنانِ(٤)

وقال العرجي:

إذا حُرِمِ المرءُ الحَيَاءَ فإنَّه ... بكلِّ قبيحٍ كان منه جديرُ

---

(١) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (٢/١٠٣).
(٢) ((المنتحل)) للثعالبي (ص ٦١).
(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٥٧).
(٤) ((لباب الآداب)) للثعالبي (ص ١٥٣).

له قِحةٌ في كلِّ شيءٍ، وسرُّه ... مباحٌ، وخدناه خنًا وغرورُ
يرى الشَّتم مدحًا والدَّناءة رفعةً ... وللسَّمع منه في العظات نفورُ
ووجهُ الحَيَاء مُلبَّسٌ جلدَ رِقَّةٍ ... بغيضٌ إليه ما يشينُ كثيرُ
له رغبةٌ في أمرِه وتجرُّدٌ ... حليمٌ لدى جهلِ الجهولِ وقورُ
فرجِّ الفتى مادام يحيا فإنَّه ... إلى خيرِ حالاتِ المنيبِ يصيرُ[1]

وقال آخر:

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ ... إلَّا نهاني الحَيَاءُ والكَرَمُ
فلا إلى فاحشٍ مددتُ يدي ... ولا مَشَتْ بي لريبةٍ قدمُ[2]



(١) ((لباب الآداب)) للأمير أسامة بن منقذ (ص ٢٨٧).
(٢) ((ذم الهوى)) لابن الجوزي (ص ٢٣٨).



الرَّحْمَة



الرَّحْمَة

معنى الرَّحْمَة لغةً واصطلاحًا:

• معنى الرَّحْمَة لغةً:

الرحمة: من رحمة يرحمه، رحمة ومرحمة، إذا رقَّ له، وتعطف عليه، وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقة والعطف والرأفة، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا.

ومنها الرَّحِم: وهي عَلاقة القرابة.

وقد تطلق الرَّحْمَة، ويراد بها ما تقع به الرَّحْمَة، كإطلاق الرَّحْمَة على الرِّزق والغيث[١].

• معنى الرَّحْمَة اصطلاحًا:

(الرَّحْمَة رقَّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ، وقد تستعمل تارةً في الرِّقَّة المجرَّدة، وتارة في الإحسان المجرَّد عن الرِّقَّة)[٢].

وقيل: (هي رِقَّة في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه)[٣].

وقيل: هي (رِقَّة في القلب، يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس، أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السُّرور حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر)[٤].

---

(١) انظر: ((الصحاح)) للجوهري (١٩٢٩/٥)، و((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤٩٨/٢)، و((لسان العرب)) لابن منظور (٢٣٠/١٢)، و((مختار الصحاح)) للرازي (ص ١٢٠).

(٢) ((مفردات القرآن)) للراغب (٣٤٧/١).

(٣) ((التحرير والتنوير)) لابن عاشور (٢١/٢٦).

(٤) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن الميداني (٣/٢).

الفرق بين الرَّحْمَة والرَّأفة:

قال ابن عاشور: (والرَّأفة: رِقَّة تنشأ عند حدوث ضر بالمرؤوف به. يقال: رؤوفٌ رحيم. والرَّحْمَة: رقَّة تقتضي الإحسان للمرحوم، بينهما عمومٌ وخصوص مطلق)[(١)].

وقال القفال: (الفرق بين الرَّأفة والرَّحْمَة: أنَّ الرَّأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضَّرر، كقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] أي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما، وأمَّا الرَّحْمَة فإنَّها اسم جامع، يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الانفصال والإنعام)[(٢)].

وقال أبو البقاء الكفوي: (الرَّحْمَة هي أن يوصل إليك المسار، والرَّأفة هي أن يدفع عنك المضار... فالرَّحْمَة من باب التزكية، والرَّأفة من باب التَّخلية، والرَّأفة مبالغة في رحمة مخصوصة، هي رفع المكروه وإزالة الضر، فذكر الرَّحْمَة بعدها في القرآن مطردًا لتكون أعم وأشمل)[(٣)].

وقيل: (الرَّأفة أشد من الرَّحْمَة)، وقيل: (الرَّحْمَة أكثر من الرَّأفة، والرَّأفة أقوى منها في الكيفية؛ لأنَّها عبارة عن إيصال النِّعم صافية عن الألم)[(٤)].

الترغيب في الرَّحْمَة:

أولًا: في القرآن الكريم

ذكر الله هذه الصفة العظيمة في غير ما آية من كتابه الكريم، إمَّا في معرض

---

(١) ((التحرير والتنوير)) (١٠/٢٣٩).
(٢) ((مفاتيح الغيب)) لفخر الدين الرازي (٤/٩٣).
(٣) ((الكليات)) (١/٧٤٢).
(٤) ((الفروق اللغوية)) للعكسري (١/٢٤٦).

تسميه واتصافه بها، أو في معرض الامتنان على العباد بما يسبغه عليهم من آثارها، أو تذكيرهم بسعتها، أو من باب المدح والثناء للمتصفين بها المتحلِّين بمعانيها، أو غير ذلك من السياقات، ومن ذلك:

- تَسمِّيه جلَّ وعلا باسم الرَّحمن والرَّحيم، واتصافه بصفة الرَّحْمَة:

وهذا كثير جدًّا في القرآن، نذكر منه على سبيل المثال لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، فقد سمى الله نفسه بهذين الاسمين المشتملين على صفة الرَّحْمَة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة)[١].

- ومن ذلك أنَّ الله جعل هذه الصفة لصفوة خلقه، وخيرة عباده، وهم الأنبياء والمرسلين، ومن سار على نهجهم من المصلحين، فقد قال الله تعالى ممتنًا على رسوله صلى الله عليه وسلم على ما ألقاه في قلبه من فيوض الرَّحْمَة، جعلته يلين للمؤمنين، ويرحمهم ويعفو عنهم، ويتجاوز عن أخطائهم: ﴿**فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أي: فبسبب رحمة من الله أودعها الله في قلبك يا محمد، كنت هيِّنًا، لين الجانب مع أصحابك، مع أنهم خالفوا أمرك وعصوك[٢].

- ومن ذلك ثناء الله على المتَّصفين بالرَّحْمَة والمتخلِّقين بها، فقد قال تعالى واصفًا رسوله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الذين معه: ﴿**مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ**﴾ [الفتح: ٢٩]، فهم أشدَّاء على الكفار، رحماء بينهم، بحسب ما يقتضيه منهم إيمانهم، فالإيمان بالله واليوم

---

(١) ((تفسير البغوي)) (٥١/١).

(٢) ((صفوة التفاسير)) للصابوني (١٥٤/١).

الآخر متى تغلغل في القلب حقًّا، غرس فيه الرَّحْمَة بمقدار قوته وتغلغله[١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١١ – ١٨].

قال محمد الطاهر بن عاشور: (خصَّ بالذِّكر من أوصاف المؤمنين، تواصيهم بالصَّبر، وتواصيهم بالمرحمة، لأنَّ ذلك أشرف صفاتهم بعد الإيمان، فإنَّ الصَّبر ملاك الأعمال الصَّالحة كلِّها؛ لأنَّها لا تخلو من كبح الشَّهوة النَّفسانيَّة وذلك من الصَّبر. والمرحمة، ملاك صلاح الجماعة الإسلاميَّة قال تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، والتَّواصي بالرَّحمة فضيلة عظيمة، وهو أيضًا كناية عن اتِّصافهم بالمرحمة، لأنَّ من يوصي بالمرحمة هو الذي عرف قدرها وفضلها، فهو يفعلها قبل أن يوصي بها)[٢].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

أما السُّنَّة فقد استفاضت نصوصها الداعية إلى الرَّحْمَة، الحاثَّة عليها، المرغِّبة فيها إمَّا نصًّا أو مفهومًا، كيف لا وصاحبها صلى الله عليه وسلم هو نبي الرَّحْمَة كما وصف نفسه فقال: ((أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرَّحْمَة))[٣].

- فعن النُّعمان بن بشير رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول الله صلى الله

(١) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) لعبد الرحمن الميداني (١٧/٢).

(٢) ((التحرير والتنوير)) لابن عاشور (٣٦١/٣٠).

(٣) رواه مسلم (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

عليه وسلم: ((ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادِّهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضوًا، تداعى له سائر جسده بالسَّهر والحمَّى))[1].

يقول النووي معلقًا على هذا الحديث: (هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثِّهم على التراحم، والملاطفة، والتعاضد، في غير إثم ولا مكروه)[2].

وقال ابن أبي جمرة: (الذي يظهر أنَّ التَّراحم، والتوادد، والتعاطف، وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التَّراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان، لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة، كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضًا، كما يعطف الثوب عليه ليقويه)[3] اهـ ملخصًا.

- وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: ((جاء أعرابيٌّ إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبِّلون الصِّبيان فما نقبِّلهم، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرَّحْمَة؟))[4].

قال ابن بطال: (رحمة الولد الصغير، ومعانقته، وتقبيله، والرفق به، من الأعمال التي يرضاها الله ويجازي عليها، ألا ترى قوله عليه السلام للأقرع بن حابس حين ذكر عند النَّبي صلى الله عليه وسلم أن له عشرة من الولد ما قبل منهم أحدًا: ((من لا يرحم لا يرحم))؟[5].

---

(١) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) ((شرح النووي على مسلم)) (١٦/١٣٩).

(٣) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/٤٣٩).

(٤) رواه البخاري (٥٩٩٨).

(٥) رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السَّماء))[١].

قال شمس الدين السفيري: (فندب صلى الله عليه وسلم إلى الرَّحْمَة، والعطف على جميع الخلق من جميع الحيوانات، على اختلاف أنواعها في غير حديث، وأشرفها الآدمي، وإذا كان كافرًا، فكن رحيمًا لنفسك ولغيرك، ولا تستبد بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والذَّليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك، فأقرب النَّاس من رحمة الله أرحمهم بخلقه، فمن كثرت منه الشفقة على خلقه، والرَّحْمَة على عباده، رحمه الله برحمته، وأدخله دار كرامته، ووقاه عذاب قبره، وهول موقفه، وأظله بظله إذ كل ذلك من رحمته)[٢].

- وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا تنزع الرَّحْمَة إلَّا من شقيٍّ))[٣].

قال ابن العربي: (حقيقة الرَّحْمَة إرادة المنفعة، وإذا ذهبت إرادتها من قلب شقي بإرادة المكروه لغيره، ذهب عنه الإيمان والإسلام)[٤].

---

(١) رواه بألفاظ متقاربة: أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/١٦٠) (٦٤٩٤). قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه ابن دقيق العيد في ((الاقتراح)) (١٢٧)، والعراقي في ((الأربعون العشارية)) (١٢٥)، وحسنه ابن حجر في ((الامتاع)) (١/٦٢)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٣٥٢٢).

(٢) ((شرح صحيح البخاري)) لشمس الدين السفيري (٢/٥٠-٥١).

(٣) رواه أبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣)، وأحمد (٢/٣٠١) (٧٩٨٨). وحسنه الترمذي، وصححه ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٦/١١٧)، وحسنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٧٤٦٧).

(٤) ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)) (٦/٥٤٧).

ويقول المناوي: (لأنَّ الرَّحْمَة في الخلق رقة القلب، ورقته علامة الإيمان، ومن لا رأفة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقي، فمن لا رحمة عنده شقي)[١].

- وعن جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يرحم الله من لا يرحم النَّاس))[٢].

يقول السعدي: (رحمة العبد للخلق من أكبر الأسباب التي تنال بها رحمة الله، التي من آثارها خيرات الدنيا، وخيرات الآخرة، وفقدها من أكبر القواطع والموانع لرحمة الله، والعبد في غاية الضرورة والافتقار إلى رحمة الله، لا يستغني عنها طرفة عين، وكل ما هو فيه من النِّعم واندفاع النقم، من رحمة الله.

فمتى أراد أن يستبقيها ويستزيد منها، فليعمل جميع الأسباب التي تنال بها رحمته، وتجتمع كلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] وهم المحسنون في عبادة الله، المحسنون إلى عباد الله. والإحسان إلى الخلق أثر من آثار رحمة العبد بهم)[٣].

أما من كان بعيدًا عن الإحسان بالخلق، ظلومًا غشومًا، شقيًّا، فهذا لا ينبغي له أن يطمع في رحمة الله وهو متلبس بظلم عباده.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التَّميمي جالسًا، فقال الأقرع: إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثمَّ قال: من لا يَرحم لا يُرحم))[٤].

---

(١) ((التيسير بشرح الجامع الصغير)) (٢/٩٦٢).
(٢) رواه البخاري (٧٣٧٦).
(٣) ((بهجة قلوب الأبرار)) (ص ٢٦٩).
(٤) رواه البخاري (٥٩٩٧) ومسلم (٢٣١٨).

قال ابن بطال بعد أن ذكر عددًا من الأحاديث، وذكر هذا الحديث من جملتها: (في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرَّحْمَة للخلق كلهم، كافرهم، ومؤمنهم، ولجميع البهائم والرفق بها، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب، ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرَّحْمَة، ويستعملها في أبناء جنسه وفي كل حيوان)[١].

وقد دل الواقع والمشاهدة، أنَّ من لا يرحم النَّاس ولا يعطف عليهم إذا صادف موقفًا يحتاج فيه إلى رحمتهم، فإنهم لا يرحمونه ولا يعطفون عليه، وقد ذكر صاحب الأغاني أنَّ محمد بن عبد الملك كان يقول: الرَّحْمَة خور في الطبيعة، وضعف في المنة، ما رحمت شيئًا قط. فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول، فلما وضع في الثقل والحديد قال: ارحموني فقالوا له: وهل رحمت شيئًا قط فترحم؟ هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها[٢].

واستفاضت الأحاديث الدالة على الرَّحْمَة بمفهومها وهي لا تكاد تحصى؛ وذلك لأنَّه ما من معاملة من المعاملات، أو رابطة من الروابط الاجتماعية أو الإنسانية، إلا وأساسها وقوام أمرها الرَّحْمَة.

فمن علاقة الإنسان بنفسه التي بين جنبيه، وعلاقته بذويه وأهله، إلى علاقته بمجتمعه المحيط به، إلى معاملته لجميع خلق الله من إنسان أو حيوان، كل ذلك مبني على هذا الخلق الرفيع، والسَّجيَّة العظيمة.

فوائد الرَّحْمَة:

للتحلي بخلق الرَّحْمَة فوائد عظيمة وثمار جليلة، فما أن يتحلى المؤمن بهذه

---

(١) ((شرح صحيح البخاري)) (٩/٢١٩).

(٢) ((الأغاني)) لأبي الفرج الأصفهاني (٢٣/٥٧).

الحلية، ويتجمَّل بهذه السَّجيَّة حتى تظهر آثارها وتؤتي أكلها.. ليس عليه فقط، بل عليه وعلى من حوله، وسنعرض لبعض هذه الآثار والفوائد إجمالًا، فمن ذلك:

١- أنَّها سبب للتعرض لرحمة الله، فأهلها مخصوصون برحمته جزاء لرحمتهم بخلقه.

٢- محبة الله للعبد، ومن ثم محبة النَّاس له.

٣- ومن أعظم فوائدها، أنَّ المتحلي بها يتحلى بخلق تحلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- أنها ركيزة عظيمة، ينبني عليها مجتمع مسلم متماسك يحس بعضه ببعض، ويعطف بعضه على بعض، ويرحم بعضه بعضًا.

٥- أنها تشعر المرء بصدق انتمائه للمجتمع المسلم، فمن لا يرحم لا يستحق أن يكون فردًا في المجتمع أو جزءًا منه؛ لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا))[1].

---

(١) رواه بألفاظ متقاربة أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩٢٠)، وأحمد (٢/٢٠٧) (٦٩٣٧) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال الترمذي والنووي في ((الترخيص بالقيام)) (٥٧): حسن صحيح، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (١١/١٤٣)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٩٤٣)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (٧٨٨).

ورواه البزار (٧/١٥٧) (٢٧١٨)، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (٣/٣٦٥) (١٣٢٨)، والحاكم (١/٢١١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

حسن إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (١/٩٠)، وابن كثير في ((جامع المسانيد والسنن)) (٥٨٦٥)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/١٧)، وحسنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٥٤٤٣).

٦- أنه على قدر حظ الإنسان من الرَّحْمَة، تكون درجته عند الله تبارك وتعالى، وقد كان الأنبياء أشدَّ النَّاس رحمة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أوفرهم حظًّا منها.

٧- أنها سبب لمغفرة الله تبارك وتعالى وكريم عفوه، كما أنَّ نقيضها سبب في سخطه وعذابه.

٨- ومن أعظم فوائدها أنَّها خلق متعدٍّ إلى جميع خلق الله.

٩- أنها سبب للالتفات إلى ضعفة المجتمع؛ من الفقراء، والمساكين، والأرامل، والأيتام، والكبار، والعجزة، وغيرهم.

أقسام الرَّحْمَة:

- **أقسامها من حيث المدح والذم:**

إن خلق الرَّحْمَة منه ما هو محمود - وهو الأصل - ومنه ما هو مذموم.

أما المحمود فهو ما ذكرناه آنفًا، واستدللنا عليه من كتاب الله، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، بما يغني عن إعادة ذكره هاهنا.

وأما المذموم: فهو ما حصل بسببه تعطيل لشرع الله، أو تهاون في تطبيق حدوده وأوامره، كمن يشفق على من ارتكب جرمًا يستحق به حدًّا، فيحاول إقالته والعفو عنه، ويحسب أنَّ ذلك من رحمة الخلق وهو ليس من الرَّحْمَة في شيء، بل الرَّحْمَة هي إقامة الحد على المذنب، والرَّأفة هي زجره عن غيِّه وردُّه عن بغيه بتطبيق حكم الله فيه، قال ابن تيمية: ((إنَّ العقوبات الشَّرعيَّة كلَّها أدوية نافعة، يصلح اللَّه بها مرض القلوب، وهي من رحمة الله بعباده ورأفته بهم، الدَّاخلة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]

فمن ترك هذه الرَّحمة النَّافعة لرأفة يجدها بالمريض، فهو الَّذي أعان على عذابه وهلاكه، وإن كان لا يريد إلَّا الخير إذ هو في ذلك جاهل أحمق)[1].

- لذا نهى الله تعالى المؤمنين عن أن تأخذهم رأفة أو رحمة في تطبيق حدود الله وإقامة شرعه فقال: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النور: ٢].

قال ابن تيمية: (إنَّ دين الله هو طاعته، وطاعة رسوله، المبني على محبَّته ومحبَّة رسوله، وأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما؛ فإنَّ الرَّأفة والرَّحمة يحبُّهما اللَّه ما لم تكن مضيِّعةً لدين الله)[2].

ومن الرَّحْمَة المذمومة، ما يكون سببًا في فساد المرحوم وهلاكه، كما يفعل كثير من الآباء من ترك تربية الأبناء وتأديبهم، وعقوبتهم رحمة بهم، وعطفًا عليهم، فيتسببون في فسادهم وهلاكهم وهم لا يشعرون. قال ابن تيمية: (ما يفعله بعض النِّساء والرِّجال الجهَّال بمرضاهم، وبمن يربُّونه من أولادهم، وغلمانهم، وغيرهم، في ترك تأديبهم وعقوبتهم، على ما يأتونه من الشَّرِّ ويتركونه من الخير رأفةً بهم، فيكون ذلك سبب فسادهم وعداوتهم وهلاكهم)[3].

وقال ابن القيم: (إنَّ الرَّحْمَة، صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقَّت عليها، فهذه هي الرَّحْمَة الحقيقية، فأرحم النَّاس بك من شقَّ عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك، فمن رحمة الأب بولده:

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٥/٢٩١).
(٢) ((المصدر السابق)) (١٥/٢٩٠).
(٣) ((المصدر السابق)) (١٥/٢٩١).

أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنَّه يرحمه، ويرفهه، ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم)[1].

- **أقسامها من حيث الغريزة والاكتساب:**

قال عبد الرحمن السعدي: (والرَّحْمَة التي يتصف بها العبد نوعان:

النوع الأول: رحمة غريزيَّة، قد جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرَّأفة والرَّحْمَة والحنان على الخلق، ففعلوا بمقتضى هذه الرَّحْمَة، جميع ما يقدرون عليه من نفعهم، بحسب استطاعتهم، فهم محمودون، مثابون على ما قاموا به، معذورون على ما عجزوا عنه، وربما كتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم.

والنوع الثاني: رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة، تجعل قلبه على هذا الوصف، فيعلم العبد أنَّ هذا الوصف من أجلِّ مكارم الأخلاق وأكملها، فيجاهد نفسه على الاتصاف به، ويعلم ما رتب الله عليه من الثواب، وما في فواته من حرمان الثواب؛ فيرغب في فضل ربه، ويسعى بالسبب الذي ينال به ذلك، ويعلم أنَّ الجزاء من جنس العمل، ويعلم أنَّ الأخوَّة الدينية والمحبة الإيمانية، قد عقدها الله وربطها بين المؤمنين، وأمرهم أن يكونوا إخوانًا متحابين، وأن ينبذوا كل ما ينافي ذلك من البغضاء، والعداوات، والتدابر)[2].

---

(١) ((إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان)) (٢/١٧٤).

(٢) ((بهجة قلوب الأبرار)) (٢٧٠).

صور الرَّحْمَة:

١- شفقة الإمام برعيته، وتجنب ما من شأنه أن يجلب المشقة عليهم:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أعتم النَّبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، حتَّى ذهب عامَّة اللَّيل، وحتَّى نام أهل المسجد، ثُمَّ خرج فصلَّى، فقال: إنَّه لوقتها، لولا أن أشقَّ على أمَّتي))[١].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا صلى أحدكم للنَّاس فليخفِّف، فإنَّ في النَّاس الضَّعيف والسَّقيم وذا الحاجة))[٢].

٢- التوسط في العبادات وترك ما يشق على النفس:

عن عائشة رضي الله عنها: ((أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة، قال: من هذه؟ قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملُّ الله حتى تملوا، وكان أحب الدِّين إليه ما داوم عليه صاحبه))[٣].

٣- البر بالوالدين.. وخفض جناح الذُّل من الرَّحْمَة لهما:

- عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: ((سألت النَّبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ العمل أحبُّ إلى اللّه عزَّ وجلَّ؟ قال: الصَّلاة على وقتها. قال: ثُمَّ أي؟ قال: برُّ الوالدين. قال: ثُمَّ أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله))[٤].

---

(١) رواه مسلم (٦٣٨).
(٢) رواه البخاري (٧٠٣)، ومسلم (٤٦٧).
(٣) رواه البخاري (٤٣)، مسلم (٧٨٥).
(٤) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

- عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اليمن، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هجرت الشِّرك ولكنَّه الجهاد. هل باليمن أبواك؟ قال: نعم. قال: أَذِنا لك؟ قال: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارجع إلى أبويك فإن فعلا، وإلَّا فبرهما))(١).

٣- الوصية بالمرأة خيرًا والإحسان إليها:

قال صلى الله عليه وسلم: ((استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنَّهن عوانٍ(٢) عندكم، أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله))(٣).

٤- الشفقة على الأبناء، والعطف والحزن عليهم، إذا أصابهم مكروه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيٌّ إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبِّلون الصِّبيان فما نقبِّلهم، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرَّحْمَة؟))(٤).

وعن أسامة بن زيد رضي اللّه عنهما قال: أَرسلت ابنة النَّبي صلى الله عليه وسلم إليه: إنَّ ابنًا لي قبض، فأتنا. فأرسل يقرأ السَّلام ويقول: ((إنَّ للَّه ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمَّى. فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه تُقسم عليه ليأتينَّها. فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبيُّ

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٠)، أحمد (٧٥/٣) (١١٧٣٩)، وابن حبان (١٦٥/٢) (٤٢٢). وصحح إسناده الحاكم، وحسن إسناده الهيثمي في ((المجمع)) (١٣٨/٨)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٨٩٢).

(٢) أسراء، أو كالأسراء. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٣١٤/٣).

(٣) رواه مسلم (١٢١٨) بلفظ مقارب، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٥٩٩٨)

ابن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فرُفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصَّبيُّ ونفسه تتقعقع[1]، قال حسبته أنَّه قال: كأنَّها شنٌّ، ففاضت عيناه. فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنَّما يرحم الله من عباده الرَّحماء))[2].

٥- الرَّحْمَة بمن هم تحت سلطانه، من العبيد، والخدم، والعمال، وغيرهم:

عن المعرور بن سويد رحمه الله تعالى قال: لقيت أبا ذرٍّ بالرَّبذة [3] وعليه حلَّة [4]، وعلى غلامه حلَّة، فسألته عن ذلك فقال: إنيِّ ساببت رجلاً فعيَّرته بأمِّه، فقال لي النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا ذر أعيَّرته بأمِّه؟ إنَّك امرؤ فيك جاهليَّة، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممَّا يأكل، وليلبسه ممَّا يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم))[5].

٦- الأمر بإحسان القِتلة والذبحة:

عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه أنَّه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته))[6].

---

(١) تضطرب وتتحرك. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٤/٨٨).

(٢) رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣)

(٣) الربذة: مكان معروف بين مكة والمدينة. ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١٢١).

(٤) الحلة ثوبان من جنس واحد. ((المصدر السابق)) (١/٨٦).

(٥) رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

(٦) رواه مسلم (١٩٥٥).

٧- النهي عن تعذيب الحيوان أو إخافته أو إجهاده أو إجاعته:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((دخلت امرأة النَّار في هرَّة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض))[١].

وعلى نقيض هذه الصورة، ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة أخرى، لامرأة غفر الله لها ذنبها بسبب كلب:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بينما كلب يطيف[٢] بركيَّة[٣] كاد يقتله العطش، إذْ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها[٤] فسقته، فغفر لها به))[٥].

قال السعدي معلقًا على هذين الحديثين: (ومن ذلك ما هو مشاهد مجرب، أنَّ من أحسن إلى بهائمه بالإطعام، والسقي، والملاحظة النافعة، أنَّ الله يبارك له فيها، ومن أساء إليها، عوقب في الدنيا قبل الآخرة، وقال تعالى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾. [المائدة: ٣٢]، وذلك لما في قلب الأول من القسوة، والغلظة، والشر، وما في قلب الآخر من الرَّحْمَة والرقة والرَّأفة، إذ هو بصدد إحياء كل من له قدرة على إحيائه من النَّاس، كما أنَّ ما في قلب الأول من القسوة،

---

(١) رواه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢).

(٢) يطيف: أي يدور حولها. ((شرح النووي على مسلم)) (١٤/٢٤٢).

(٣) الركية: البئر مطوية أو غير مطوية. ((فتح الباري)) لابن حجر (٦/٥١٦).

(٤) الموق بضم الميم هو الخف فارسي. ((شرح النووي على مسلم)) (١٤/٢٤٢).

(٥) رواه البخاري (٣٤٦٧).

مستعد لقتل النفوس كلها)[1].

الأسباب المعينة على التخلق بخلق الرَّحْمَة:

قال السعدي: (فلا يزال العبد يتعرف الأسباب التي يدرك بها هذا الوصف الجليل، ويجتهد في التحقق به، حتى يمتلئ قلبه من الرَّحْمَة، والحنان على الخلق. ويا حبذا هذا الخلق الفاضل، والوصف الجليل الكامل، وهذه الرَّحْمَة التي في القلوب، تظهر آثارها على الجوارح واللسان، في السعي في إيصال البر، والخير، والمنافع إلى النَّاس، وإزالة الأضرار والمكاره عنهم)[2].

وهاك أخي الكريم بعض الأسباب المعينة على التخلق بهذا الخلق الكريم والسجيَّة العظيمة:

١- القراءة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتدبر في معالمها، والتأسِّي به في مواقف رحمته صلى الله عليه وسلم.

٢- مجالسة الرحماء ومخالطتهم، والابتعاد عن ذوي الغلظة والفظاظة، فالمرء يكتسب من جلسائه طباعهم وأخلاقهم.

٣- تربية الأبناء على هذا الخلق العظيم، ومحاولة غرسه في قلوبهم، ومتى نشأ الناشئ على الرَّحْمَة ثبتت في قلبه وأصبحت سجيَّة له بإذن الله.

٤- معرفة جزاء الرحماء وثوابهم، وأنهم هم الجديرون برحمة الله دون غيرهم، ومعرفة عقوبة الله لأصحاب القلوب القاسية؛ فإنَّ هذا مما يدفع للتخلق بصفة الرحمة، ويردع عن القسوة.

(١) ((بهجة قلوب الأبرار)) (١/١٩٠).

(٢) ((المصدر السابق)).

٥- معرفة الآثار المترتبة على التحلي بهذا الخلق، والثمار التي يجنيها الرحماء في الدنيا قبل الآخرة.

٦- الاختلاط بالضعفاء، والمساكين، وذوي الحاجة؛ فإنَّه ممَّا يرقِّق القلب، ويدعو إلى الرَّحْمَة والشفقة بهؤلاء وغيرهم.

نماذج في الرَّحْمَة:

• نماذج من رحمة النَّبي صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى واصفًا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم النَّاس بالنَّاس وأرأفهم بهم؛ المؤمنين ومن لم يكن يدين بدين الإسلام أصلًا، بل إنَّ رحمته صلى الله عليه وسلم تعدت ذلك إلى الحيوان، والجماد، وسنعرض هنا بعض النماذج من رحمته صلى الله عليه وسلم:

رحمته صلى الله عليه وسلم بالكفَّار:

- (عن عائشة رضي اللّه عنها زوج النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّها قالت للنَّبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: ((لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت. وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلَّا وأنا بقرن الثَّعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك

الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا))[1].

قال ابن حجر: (في هذا الحديث بيان شفقة النَّبي صلى الله عليه وسلم على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧])[2].

رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان:

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: ((أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أحدث به أحدًا من النَّاس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفًا أو حائش نخل، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النَّبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه، فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه))[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣١).

(٢) ((فتح الباري)) (٣١٦/٦).

(٣) روى مسلم (٣٤٢) أوله، وأبو داود (٢٥٤٩) واللفظ له، وأحمد (٢٠٣/١) (١٧٤٥)، والحاكم (١٠٩/٢).

قال ابن تيمية في ((الجواب الصحيح)) (١٨٦/٦): روى مسلم بعضه، وبعضه على شرطه، وقال ابن الملقن في ((تحفة المحتاج)) (٤٣٨/٢): سنده في مسلم، ووثق رواة إسناده البوصيري =

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرةُ فجعلت تفرِش، فجاء النَّبي صلى الله عليه وسلم فقال: (من فجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرَّق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنَّه لا ينبغي أن يعذِّب بالنَّار إلَّا ربُّ النَّار))[1].

رحمته صلى الله عليه وسلم بالجماد:

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: إن شئتم. فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النَّبي صلى الله عليه وسلم فضمَّه إليه[2]، تئنُّ أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها))[3].

• نماذج من رحمة الصحابة رضوان الله عليهم:

سار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهجه، واقتدوا به في التمسك بهذا الخلق الكريم، حتى صار الرجل المعروف بشدته، وصرامته، هيِّنًا ليِّنًا، رحيمًا رؤوفًا.

= في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٧/١٠٥)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٣/١٨٩)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٢٥٤٩)، والوادعي في ((صحيح دلائل النبوة)) (٥٥٩) وقال: على شرط مسلم وقد أخرج بعضه.

(١) رواه أبو داود (٢٦٧٥). وصحح إسناده النووي في ((رياض الصالحين)) (٤٥٥)، وابن الملقن في ((البدر المنير)) (٨/٦٨٩)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٢٦٧٥).

(٢) أي: ضمَّ جذع النخلة إليه عليه الصلاة والسلام.

(٣) رواه البخاري (٣٥٨٤).

- فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عرف بشدَّته، وقوَّته، تغير الرَّحْمَة من طباعه، فيصبح رقيقًا يمتلأ قلبه رحمةً، ويفيض فؤاده شفقةً، ومما يدل على ذلك قوله لعبد الرحمن بن عوف حينما أتاه يكلمه في أن يلين لهم لأنَّه أخاف النَّاس حتى خاف الأبكار في خدورهن، فقال: (إني لا أجد لهم إلَّا ذلك، والله لو أنهم يعلمون ما لهم عندي، من الرَّأفة، والرَّحْمَة، والشفقة، لأخذوا ثوبي عن عاتقي)[١].

- ورآه عيينة بن حصن يومًا يقبل أحد أبنائه، وقد وضعه في حجره وهو يحنو عليه، فقال عيينة: أتُقبِّل وأنت أمير المؤمنين؟ لو كنت أمير المؤمنين ما قبلت لي ولدًا. فقال عمر: الله، الله حتى استحلفه ثلاثًا، فقال عمر: فما أصنع إن كان الله نزع الرَّحْمَة من قلبك؟ إنَّ الله إنَّما يرحم من عباده الرُّحماء[٢].

- واشتهى الحوت يومًا، فقال: لقد خطر على قلبي شهوة الطري من حيتان، فخرج يرفأ، في طلب الحوت لعمر رضي الله عنه، ورحل راحلته، فسار ليلتين مدبرًا، وليلتين مقبلًا، واشترى مكتلًا، وجاء بالحوت، ثم غسل يرفأ الدابة، فنظر إليها عمر فرأى عرقًا تحت أذنها، فقال: عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر، لا والله لا يذوقه عمر، عليك بمكتلك[٣].

(ومرَّ رضي الله عنه براهب فوقف ونودي بالراهب فقيل له: هذا أمير المؤمنين، فاطَّلَع فإذا إنسان به من الضر والاجتهاد وترْكِ الدنيا، فلمَّا رآه عمر بكى، فقيل له: إنَّه نصراني، فقال عمر: قد علمت ولكني رحمته، ذكرت

---

(١) ((المجالسة وجواهر العلم)) لأبي بكر الدينوري (٤/٤٣) (١١٩٩).

(٢) ((جامع معمر بن راشد)) (١١/٢٩٩) (٢٠٥٩٠).

(٣) رواه أحمد (١/٣١٩) (٤٤٣)، وابن عساكر (٤٤/٣٠١).

قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٣- ٤] رحمتُ نصبَه واجتهاده وهو في النَّار)[١].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة، التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((إنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار))[٢].

- وهذا أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه من رحمته أنه كان له جفنة [٣] من ثريد، غدوة، وجفنة عشية، للأرامل واليتامى والمساكين[٤].

- **نماذج من رحمة السلف:**

رحمة عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

(كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى حيَّان بمصر: إنَّه بلغني أنَّ بمصر إبلًا نقالات، يحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا، فلا أعرفنَّ أنَّه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل، وكتب إلى صاحب السكك أن لا يحملوا أحدًا بلجام ثقيل من هذه الرستنية، ولا ينخس [٥] بمقرعة [٦] في أسفلها حديدة)[٧].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣/٤٢٠) (٣٥٨٤).
(٢) رواه مسلم (٢٦٣٠).
(٣) الجفنة: القصعة ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ص: ١١٨٦).
(٤) رواه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٤/٢٩٩)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٦٢/٩٩).
(٥) نخس الدابة، غرز مؤخرها أو جنبها بعود ونحوه. ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ص ٥٧٦).
(٦) المقرعة: خشبة تضرب بها البغال والحمير. ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/٢٦٤).
(٧) ((سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه)) لأبي محمد المصري (ص ١٤١).

- **نماذج من رحمة العلماء المتقدمين:**

رحمة ابن تيمية رحمه الله:

قال عمر بن علي البزار: (وحدَّثني من أثق به أنَّ الشيخ رضي الله عنه كان مارًّا يومًا في بعض الأزقَّة فدعا له بعض الفقراء، وعرف الشيخ حاجته، ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه، فنزع ثوبًا على جلده ودفعه إليه، وقال: بعه بما تيسر وأنفقه. واعتذر إليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة)(١).

- **نماذج من رحمة العلماء المعاصرين:**

رحمة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قال محمد بن موسى الموسى: (في يوم من الأيام، طلب مني أحد السائقين لدى سماحة الشيخ أن يتصل عبر الهاتف بأهله خارج البلاد، أي: يريد الاتصال من الهاتف الذي في منزل سماحة الشيخ، فقلت له: لا بد من الاستئذان من سماحته. فأتيت إلى سماحة الشيخ وقلت له: فلان طلب مني الإذن له بالاتصال بأهله، فقال سماحته: لعلك منعته؟ فقلت: لا بد من إذن سماحتكم. فقال: اتركه يتصل، لا تمنعوهم، ارحموهم، أما لكم أولاد؟ أعوذ بالله، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((من لا يَرحم لا يُرحم)))(٢).

قالوا عن الرَّحْمَة:

- قال السعدي عن عَلَامة وجود الرَّحْمَة في قلب العبد: (وعلامة الرَّحْمَة الموجودة في قلب العبد، أن يكون محبًّا لوصول الخير لكافة الخلق عمومًا،

---

(١) ((الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية)) لسراج الدين (٦٥).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وللمؤمنين خصوصًا، كارهًا حصول الشر والضرر عليهم، فبقدر هذه المحبة والكراهة تكون رحمته)[1].

فمتى ما وُجِدَتْ هذه العلامة في قلب العبد، دلَّت على أنَّ قلبه عامر بالرَّحْمَة، مفعم بالرَّأفة.

- وقال مصطفى لطفي المنفلوطي: (إن الرَّحْمَة كلمة صغيرة.. ولكن بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس في منظرها، والشمس في حقيقتها.

لو تراحم النَّاس لما كان بينهم جائع، ولا مغبون، ولا مهضوم، ولأقفرت الجفون من المدامع، ولاطمأنت الجنوب في المضاجع، ولمحت الرَّحْمَة الشقاء من المجتمع، كما يمحو لسان الصبح مداد الظلام.

أيُّها الإنسان ارحم الأرملة التي مات عنها زوجها، ولم يترك لها غير صبية صغار، ودموع غزار، ارحمها قبل أن ينال اليأس منها، ويعبث الهم بقلبها، فتؤثر الموت على الحياة.

ارحم الزوجة أم ولدك، وقعيدة بيتك، ومرآة نفسك، وخادمة فراشك؛ لأنَّها ضعيف؛ ولأنَّ الله قد وكل أمرها إليك، وما كان لك أن تكذب ثقته بك.

ارحم ولدك وأحسن القيام على جسمه، ونفسه، فإنَّك إلا تفعل قتلته أو أشقيته فكنت أظلم الظالمين.

ارحم الجاهل، لا تتحين فرصة عجزه عن الانتصاف لنفسه، فتجمع عليه

(١) ((بهجة قلوب الأبرار)) للسعدي (ص ١٨٩).

بين الجهل والظلم، ولا تتخذ عقله متجرًا تربح فيه، ليكون من الخاسرين.

ارحم الحيوان؛ لأنَّه يحس كما تحس، ويتألم كما تتألم، ويبكي بغير دموع ويتوجع.

ارحم الطير لا تحبسها في أقفاصها، ودعها تهيم في فضائها حيث تشاء، وتقع حيث يطيب لها التغريد والتنقير، إنَّ الله وهبها فضاء لا نهاية له، فلا تغتصبها حقها، فتضعها في محبس لا يسع مد جناحها، أطلق سبيلها وأطلق سمعك وبصرك وراءها، لتسمع تغريدها فوق الأشجار، وفي الغابات، وعلى شواطئ الأنهار، وترى منظرها وهي طائرة في جو السماء، فيخيَّل إليك أنَّها أجمل من منظر الفلك الدائر، والكوكب السيَّار.

أيها السعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء، وامسحوا دموع الأشقياء، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[1].

الرَّحْمَة في واحة الشعر:

قال أبو القاسم ابن عساكر:

بادرْ إلى الخيرِ يا ذا اللبِّ مغتنمًا ... ولا تكنْ مِن قليلِ العرفِ محتشما

واشكرْ لمولاك ما أولاك من نعمٍ ... فالشكرُ يستوجبُ الإفضالَ والكرما

وارحمْ بقلبِك خلقَ الله وارعَهُم ... فإنَّما يرحمُ الرحمنُ مَن رَحِما[2]

وقال زين الدين العراقي:

إنْ كنتَ لا ترحمُ المسكينَ إن عَدِما ... ولا الفقيرَ إذا يشكو لك العَدما

---

(١) ((مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة)) (ص ٨٨).

(٢) ((بريقة محمودية)) لأبي سعيد الخادمي (٣/٤٥).

فكيف ترجو من الرحمنِ رحمتَه وإنَّما يرحمُ الرحمنُ من رَحِما[١]

وقال أبو الفضل ابن حجر:

إنَّ منْ يرحمُ أهلَ الأرضِ قد جاءنا يرحمه من في السَّما

فارحمِ الخلقَ جميعًا إنَّما يرحمُ الرحمنُ منَّا الرُّحما[٢]

وقال أبو الفتح محمد بن أحمد الكندي:

سامحْ أخاك الدَّهرَ مهما بدَتْ منه ذنوبٌ وقعُها يعظُمُ

وارحمْ لتلقَى رحمةً في غدٍ فربُّنا يرحمُ مَن يرحمُ[٣]

وقال ابن يعقوب:

إن كنتَ ترجو مِن الرحمنِ رحمتَه فارحمْ ضعافَ الورَى يا صاحِ محترمًا

واقصدْ بذلك وجهَ اللهِ خالقِنا سبحانَه مِن إلهٍ قد برى النَّسما

واطلبْ جزا ذاك مِن مولاك رحمتَه فإنَّما يرحمُ الرحمنُ مَن رحِما[٤]

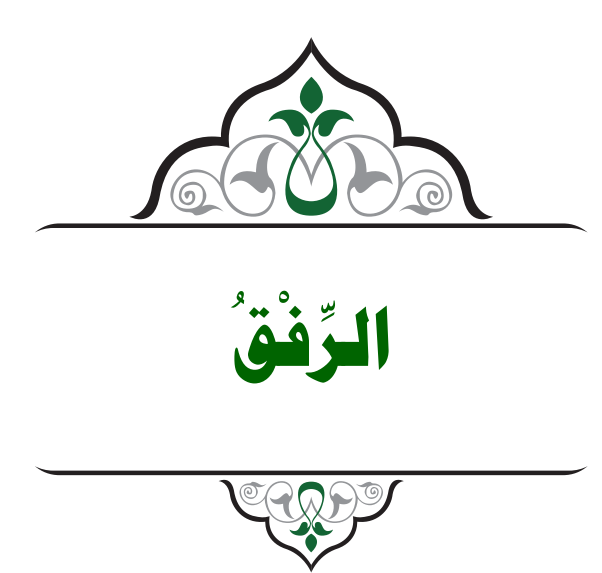
وقال ابن الشوائطي:

بادرْ إلى الخيرِ يا ذا اللبِّ واللسنِ واشكرْ لربِّك ما أولى مِن المننِ

وارحمْ بقلبِك خلقَ اللهِ كلَّهم يُنلْك رحمته في الموقفِ الخشنِ[٥]



(١) ((صيد الأفكار)) لحسين بن محمد المهدي (٢/١٧١).
(٢) ((المصدر السابق)) (٢/١٦٩).
(٣) ((الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار)) للسيوطي (ص ٩٨).
(٤) ((الضوء اللامع)) للسخاوي (٨/١٣٧).
(٥) ((المصدر السابق)) (٥/١٧٤).



الـرِّفْقُ

الرِّفق

معنى الرفق لغةً واصطلاحًا:

- **معنى الرفق لغةً:**

الرِّفق ضد العنْف، وهو لين الجانب، ويقال: رَفَق بالأَمر وله وعليه يَرْفُق رِفْقًا، ومرفقًا: لان له جانبه وحسن صنيعه. ورَفُقَ يَرْفُقُ ورَفِقَ لطف ورفَقَ بالرجل وأَرْفَقه بمعنى وكذلك تَرفَّق به(١).

- **معنى الرِّفق اصطلاحًا:**

قال ابن حجر في تعريف الرِّفق: (هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف)(٢).

وقال القاري: (هو المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه، وأيسرها)(٣).

الترغيب في الرِّفق:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) ((النهاية)) لابن الأثير (٢/٢٤٦)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/١١٨)، ((المعجم الوسيط)) (١/٣٦٢).
(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/٤٤٩).
(٣) ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٨/٣١٧٠).

(يقول تعالى مخاطبًا رسوله صلى الله عليه وسلم، ممتنًّا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾أي: أي شيء جعلك لهم لينًا لولا رحمة الله بك وبهم)[١].

- وقال سبحانه مخاطبًا الرسول: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] (أي: ارفق بهم وألن جانبك لهم)[٢].

- وقال سبحانه: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

فقوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ (أي: سهلًا لطيفًا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف[٣]، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿ لَّعَلَّهُۥ ﴾ بسبب القول اللين ﴿ يَتَذَكَّرُ ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ ما يضره فيتركه، فإنَّ القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه)[٤].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أن يهود أتوا النَّبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليكم. فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: مهلًا يا عائشة، عليك بالرِّفق وإياك والعنف والفحش. قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب

(١) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (١٤٨/٢).
(٢) ((معالم التنزيل)) للبغوي (٢٠٧/٦).
(٣) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٩٦/٩).
(٤) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (٥٠٦).

لي فيهم ولا يستجاب لهم في))[١].

- وعن جرير رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: (من يحرم الرِّفق يحرم الخير)[٢].

(يعني أنَّ الإنسان إذا حرم الرِّفق في الأمور فيما يتصرف فيه لنفسه، وفيما يتصرف فيه مع غيره، فإنَّه يحرم الخير كله، أي: فيما تصرَّف فيه، فإذا تصرَّف الإنسان بالعنف والشدة، فإنَّه يحرم الخير فيما فعل، وهذا شيء مجرَّبٌ ومشاهد، أنَّ الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشِّدَّة؛ فإنَّه يحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرِّفق والحلم والأناة وسعة الصدر؛ حصل على خيرٍ كثير، وعلى هذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائمًا رفيقًا حتى ينال الخير)[٣].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به))[٤].

و(قد يظن بعض النَّاس أنَّ معنى الرِّفق أن تأتي للناس على ما يشتهون ويريدون، وليس الأمر كذلك، بل الرِّفق أن تسير بالنَّاس حسب أوامر الله ورسوله، ولكن تسلك أقرب الطرق وأرفق الطرق بالنَّاس، ولا تشق عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله، فإن شققت عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله، فإنَّك تدخل في الطرف الثاني من الحديث، وهو الدعاء عليك

(١) رواه البخاري (٦٠٣٠).
(٢) رواه مسلم (٢٥٩٢).
(٣) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٣/٥٩٢).
(٤) رواه مسلم (١٨٢٨).

بأن يشق الله عليك)[١].

- وعنها أيضًا رضي الله عنها عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ الرِّفق لا يكون في شيء إلا زانه[٢]، ولا ينزع من شيء إلا شانه[٣]))[٤].

- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أعطي حظه من الرِّفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرِّفق حرم حظه من الخير))[٥]. (إذ به تنال المطالب الأخروية والدنيوية وبفوته يفوتان)[٦].

وهذه النصوص التي مرت معنا تدل (على أنَّ الرِّفق في الأمور، والرِّفق بالنَّاس، واللين، والتيسير، من جواهر عقود الأخلاق الإسلامية، وأنَّها من صفات الكمال، وأنَّ الله تعالى من صفاته أنَّه رفيق، وأنه يحب من عباده الرِّفق، فهو يوصيهم به ويرغبهم فيه، ويعدهم عليه عطاءً لا يعطيه على شيءٍ آخر. ويُفهم من النصوص أنَّ العنف شَيْن خلقي، وأنَّه ظاهرة قبيحة، وأنَّ الله لا يحبه من عباده)[٧].

أقوال السلف والعلماء في الرِّفق:

- (بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ جماعة من رعيته اشتكوا من عماله، فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال: أيها

---

(١) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٣/٦٣٤).

(٢) الزين: ضد الشين. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٥/١٦٢).

(٣) شانه يشينه شينا: ضد زانه، أي عابه. انظر: ((المصدر السابق)) (٣٥/٢٩٩).

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) رواه الترمذي (٢٠١٣) واللفظ له، وأحمد (٦/٤٥١) (٢٧٥٩٣)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٤٦٤). قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٦٠٥٥).

(٦) ((فيض القدير)) للمناوي (٦/٧٥).

(٧) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٣٣٩).

النَّاس، أيَّتها الرعية إنَّ لنا عليكم حقًّا، النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، أيَّتها الرعاة إنَّ للرعيَّة عليكم حقًّا فاعلموا أنَّه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، ليس جهل أبغض إلى الله، ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنَّه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه)[1].

- و(روي أنَّ عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية: أما بعد: فإنَّ التفهم في الخبر زيادة رشد، وإنَّ الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبًا وإن العَجِل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئًا، وأن من لا ينفعه الرِّفق يضره الخرق، ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي)[2].

- وعن عروة بن الزبير قال: (كان يقال: الرِّفق رأس الحكمة)[3].

- وعن الشعبي قال: (غُشي على مسروق في يوم صائف، وكانت عائشة قد تبنته فسمَّى بنته عائشة، وكان لا يعصي ابنته شيئًا، قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه، أفطر واشرب، قال: ما أردت لي يا بُنية؟ قالت: الرِّفق، قال. يا بنية، إنَّما طلبت الرِّفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)، وفي رواية: (إنَّما طلبت الرِّفق لتعبي).

- وقال سفيان لأصحابه: (تدرون ما الرِّفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها؛ الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه)[4].

---

(١) رواه الطبري في ((تاريخه)) (٤/٢٢٤).

(٢) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/١٨٦).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٥/٢٠٩) (٢٥٣٠٨)، ووكيع في ((الزهد)) (ص ٧٧٦)، وأحمد في ((الزهد)) (ص ٤٤)، وهناد في ((الزهد)) (٢/٦٥٣).

(٤) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/١٨٦).

- قال وهب بن منبه: (الرِّفق ثني الحلم)[١].

- وعن قيس بن أبي حازم قال كان يقال: (الرِّفق يمن، والخرق شؤم)[٢].

- وعن حبيب بن حجر القيسيِّ قال: (كان يقال: ما أحسن الإيمان يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرِّفق)[٣].

- وقال ابن القيم: (من رَفَقَ بعبادِ الله رَفَقَ الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد الله عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله بتلك الصِّفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه)[٤].

- قال ابن حجر: (لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرِّفق، إلا عجز وانقطع فيغلب)[٥].

- وقال أبو حاتم: (الواجب على العاقل لزوم الرِّفق في الأمور كلها، وترك العجلة والخفَّة فيها، إذ الله تعالى يحب الرِّفق في الأمور كلها، ومن منع الرِّفق منع الخير ،كما أنَّ من أعطي الرِّفق أعطي الخير، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب، إلا بمقارنة الرِّفق ومفارقة العجلة)[٦].

- وقال أيضًا: (العاقل يلزم الرِّفق في الأوقات، والاعتدال في الحالات؛ لأنَّ

---

(١) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/١٨٦).
(٢) ((الزهد)) لهناد بن السري (٢/٦٥٤).
(٣) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (١/٣٩٦).
(٤) ((الوابل الصيب)) لابن القيم (ص ٣٥).
(٥) ((فتح الباري)) لابن حجر (١/٩٤).
(٦) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٢١٥).

الزيادة على المقدار في المبتغى عيبٌ، كما أنَّ النقصان فيما يجب من المطلب عجز، وما لم يصلحه الرِّفق لم يصلحه العنف، ولا دليل أمهر من رفق، كما لا ظهير أوثق من العقل، ومن الرِّفق يكون الاحتراز، وفي الاحتراز ترجى السلامة، وفي ترك الرِّفق يكون الخرق، وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة)[1].

فوائد الرِّفق[2]:

١- طريق موصل إلى الجنة.

٢- دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٣- يثمر محبة الله ومحبة النَّاس.

٤- ينمِّي روح المحبة والتعاون بين النَّاس.

٥- دليل على صلاح العبد وحسن خلقه.

٦- بالرِّفق ينشأ المجتمع سالـمًا من الغل والعنف.

٧- عنوان سعادة العبد في الدارين.

٨- الرِّفق يزين الأشياء.

٩- الرِّفق بالحيوان في إطعامه، أو ذبحه، من مظاهر الإحسان.

١٠- الرفق دليل على فقه الرفيق وأناته وحكمته.

١١- الرِّفق ينتج منه حسن الخلق.

١٢- بالرِّفق ينال الإنسان الخير.

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٢١٦).

(٢) ((نضرة النعيم)) (٦/٢١٦٨) بتصرف يسير.

صور الرِّفق:

١- الرِّفق بالنفس في أداء ما فرض عليه:

المسلم لا يُحَمِّل نفسه من العبادة مالا تطيقه، فالإسلام دين يسر وسهولة، فالمتبع له يوغل فيه برفق، قال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الدين يسر، ولن يشادَّ[١] الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة، والروحة[٢]، وشيء من الدُّلْجة[٣]))[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها: ((أنَّ الحولاء بنت تُوَيْتِ بن حبيب بن أسد ابن عبد العزَّى مرت بها، وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: فقلت: هذه الحولاء بنت تويتٍ. وزعموا أنَّها لا تنام بالليل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنام بالليل، خذوا من العمل ما تطيقون، فو الله لا يسأم الله حتى تسأموا[٥]))[٦].

قال ابن القيم: (نهى النَّبي صلى الله عليه وسلم عن التشديد في الدين بالزيادة على المشروع، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ تشديد العبد، على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه إما بالقدر وإما بالشرع. فالتشديد بالشرع: كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل

(١) المشادة في الشيء: التشدد فيه والمغالبة. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٨/٢٤٢).

(٢) الغدوة: البكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/١١٦).

الروحة: الوقت لما بين زوال الشمس إلى الليل. انظر: ((فتح الباري)) لابن الحجر (١/١٢٦).

(٣) الدُّلْجة: سير السحر. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٢/٢٧٢).

(٤) رواه البخاري (٣٩) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٦).

(٥) سئم الشيء وسئم منه سآمة: مل. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/٢٨٠).

(٦) رواه مسلم (٧٨٥).

الوسواس. فإنهم شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد عليهم القدر، حتى استحكم ذلك، وصار صفة لازمة لهم)[١].

٢- الرِّفق مع النَّاس عامة:

ويكون بلين الجانب وعدم الغلظة والجفاء، والتعامل مع النَّاس بالسَّمَاحَة، قال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمنون هيِّنون ليِّنون، كالجمل الأنِفِ[٢]، إن قِيد انقاد، وإذا أُنيخ على صخرة استناخ[٣]))[٤]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الله رفيق يحب الرِّفق في الأمر كلِّه))[٥].

٣- الرِّفق بالرعية:

الراعي، سواء كان حاكمًا، أو رئيسًا، أو مسؤولًا، عليه أن يرفق برعيته، فيقضي حاجتهم، ويؤدِّي مصالحهم برفق، قال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به))[٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ شرَّ الرِّعاء الحُطَمة[٧]))[٨].

---

(١) ((إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان)) لابن القيم (١/١٣٢).

(٢) الأنف: الذليل المؤاتي. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٣/٤٥).

(٣) أنخت الجمل: أبركته. انظر: ((المصدر السابق)) (٧/٣٦٢).

(٤) رواه ابن المبارك في ((الزهد)) (١/١٣٠)،والبيهقي في ((الشعب)) (١٠/٤٤٧) (٧٧٧٧) من حديث مكحول مرسلا. ورواه القضاعي في ((مسنده)) (١/١١٤)، والبيهقي في ((الشعب)) (١٠/٤٤٨) (٧٧٧٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقال البيهقي: المرسل أصح. وحسنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٦٦٦٩).

(٥) رواه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢٥٩٣).

(٦) رواه مسلم (١٨٢٨).

(٧) الحطمة هو الراعي الذي لا يمكن رعيته من المراتع الخصيبة ويقبضها ولا يدعها تنتشر في المرعى. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/١٣٩).

(٨) رواه مسلم (١٨٣٠).

(وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث مثلًا لكل راع عنيف، قاس شديد لا رحمة في قلبه على رعيته من النَّاس، سواء أكان ولي أسرة، أو صاحب سلطان، صغرت دائرة رعيته أو كبرت، فشرُّ الرعاة من النَّاس على النَّاس هو الحطمة، الذي لا رفق عنده، ولا رحمة في قلبه تليِّن سياسته وقيادته، فهو يقسو ويشتد على رعيته، ويوسعهم عسفًا وتحطيمًا، ويدفعهم دائمًا إلى المآزق والمحرجات، ولا يعاملهم بالرِّفق والحكمة في الإدارة والسياسة)[١].

قال ابن عثيمين: (أما ولاة الأمور فيجب عليهم الرِّفق بالرعية، والإحسان إليهم، واتباع مصالحهم، وتولية من هو أهل للولاية، ودفع الشر عنهم، وغير ذلك من مصالحهم؛ لأنَّهم مسئولون عنهم أمام الله عز وجل)[٢].

٤- الرِّفق بالمدعوِّين:

الداعية عليه أن يرفق في دعوته، فيشفق على النَّاس ولا يشق عليهم، ولا ينفِّرهم من الدين بأسلوبه الغليظ والعنيف، (وأولى النَّاس بالتَّخلُّق بخلق الرِّفق الدعاة إلى الله والمعلِّمون، فالدعوة إلى الله لا تؤثر ما لم تقترن بخلق الرِّفق في دعوة الخلق إلى الحق، وتعليم النَّاس لا يُؤتي ثمراته الطيبات ما لم يقترن بخلق الرِّفق الذي يملك القلوب بالمحبة)[٣]. قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فيدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتلطَّف مع العاصي بكلام ليِّن وبرفق، ولا يعين الشيطان عليه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبًا، فلا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه، تقولوا: اللهم أخزه،

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٣٤١) بتصرف يسير.

(٢) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٣/٦٢٧).

(٣) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٣٤٠).

اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإنا- أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم- كنَّا لا نقول في أحد شيئًا حتى نعلم علام يموت؟ فإن خُتم له بخير علمنا أن قد أصاب خيرًا، وإن خُتم بشرٍّ خفنا عليه)[(١)].

وانظر إلى رفق إبراهيم عليه السلام مع أبيه ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝٤٦ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦-٤٧].

قال الشنقيطي: (بيَّن الله جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين أنَّ إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من الرِّفق واللين، وإيضاح الحق، والتحذير من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ومن عذاب الله تعالى، وولاية الشيطان، خاطبه هذا الخطاب العنيف وسماه باسمه، ولم يقل له يا بني في مقابلة قوله له يا أبت، وأنكر عليه أنَّه راغب عن عبادة الأوثان، أي: معرض عنها لا يريدها؛ لأنَّه لا يعبد إلا الله وحده جل وعلا، وهدَّده جلَّ وعلا، وهدَّده بأنَّه إن لم ينته عما يقوله له ليرجمنه، قيل: بالحجارة، وقيل: باللسان شتمًا، والأول أظهر، ثم أمره بهجره مليًّا، أي: زمانًا طويلًا، ثُمَّ بيَّن أنَّ إبراهيم قابل أيضًا جوابه العنيف بغاية الرِّفق واللين، في قوله: ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ... ﴾ [مريم: ٤٧])[(٢)].

٥- الرِّفق بالخادم والمملوك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول لله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (٩/١١٠) (٨٥٧٤)، وابن المبارك في ((الزهد)) (٣١٣/١) (٨٩٦)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٤/٢٠٥)، والبغوي في ((شرح السُّنَّة)) (١٣٧/١٣). قال الهيثمي في ((المجمع)) (٦/٢٥٠): رجاله ثقات، إلا أن عبيدة لم يسمع من أبيه.

(٢) ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤٢٧/٣).

((للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف، ولا يكلَّف من العمل إلا ما يطيق))[١].

قال الشنقيطي: (فأوجب على مالكيهم الرِّفق والإحسان إليهم، وأن يطعموهم مما يطعمون، ويكسوهم مما يلبسون، ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، وإن كلفوهم أعانوهم؛ كما هو معروف في السُّنَّة الواردة عنه صلى الله عليه وسلم مع الإيصاء عليهم في القرآن)[٢].

٦- الرِّفق بالحيوان:

فمن الرِّفق بالحيوان، أن تدفع عنه أنواع الأذى، كالعطش والجوع والمرض، والحمل الثقيل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

- ((بينا رجل يمشي، فاشتدَّ عليه العطش، فنزل بئرًا، فشرب منها، ثُمَّ خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: في كل كبد رطبة أجر))[٣].

- وعن سعيد بن جبير قال: ((مرَّ ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟! لعن الله من فعل هذا، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا[٤]))[٥].

---

(١) رواه مسلم (١٦٦٢).

(٢) ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٣/٣٠).

(٣) رواه البخاري (٢٣٦٣).

(٤) الغرض: هدف يرمى فيه. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (١٨/٤٥١).

(٥) رواه مسلم (١٩٥٨).

نماذج في الرِّفق:

- **نماذج من رفق النَّبي صلى الله عليه وسلم:**

- كان النَّبي صلى الله عليه وسلم رفيقًا هيِّنًا ليِّنًا سهلًا، في تعامله، وفي أقواله وأفعاله، وكان يحب الرِّفق، ويحث النَّاس على الرِّفق، ويرغِّبهم فيه، فعن عبادة بن شرحبيل قال: ((أصابنا عام مخمصة، فأتيت المدينة، فأتيت حائطًا من حيطانها، فأخذت سنبلًا ففركته فأكلته، وجعلته في كسائي، فجاء صاحب الحائط، فضربني وأخذ ثوبي، فأتيت النَّبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فقال للرجل: ما أطعمته إذ كان جائعًا، أو ساغبًا، ولا علمته إذ كان جاهلًا، فأمره النَّبي صلى الله عليه وسلم، فردَّ إليه ثوبه، وأمر له بوسق من طعام، أو نصف وسق))[1].

- وكان صلى الله عليه وسلم رفيقًا بقومه رغم أذيتهم له، فعن عروة أنَّ عائشة رضي الله عنها زوج النَّبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنَّها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ ((قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يَالِيلَ بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما

(١) رواه ابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (٣/٢٧٣) (١٦٥٤)، وابن الأثير في ((أسد الغابة)) (٣/٤٩).

صحح إسناده الشنقيطي في ((أضواء البيان)) (١/١٤١)، وصححه الألباني في ((صحيح ابن ماجه)) (١٨٧٥).

شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلَّم علي، ثُمَّ قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين[١]؟ فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا[٢].

- وكان صلى الله عليه وسلم رفيقًا في تعليمه للجاهل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَهْ مَهْ[٣]. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تُزْرموه[٤] دعوه، فتركوه حتى بال، ثُمَّ إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه، فقال له: إنَّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنَّما هي لذكر الله عزَّ وجلَّ والصلاة وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّه عليه[٥]))[٦].

- وعن معاوية بن الحكم السلمي قال: ((بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكْلَ أُمِّيَاه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلمَّا رأيتهم يُصمِّتونني لكني سكت، فلما صلَّى

(١) الأخشبان: جبلا مكة. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢/٣٥٧).
(٢) رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥).
(٣) مه: اسم لفعل الأمر، ومعناه اكفف. انظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٣٠٠).
(٤) لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله. انظر: ((المصدر السابق)) (ص ١٣٦).
(٥) الشن: الصب المتقطع. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/٢٤٢).
(٦) رواه مسلم (٢٨٥).

رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فو الله ما كهرني[١]، ولا ضربني، ولا شتمني. قال: إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام النَّاس، إنَّما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن))[٢].

- كما أنَّه صلى الله عليه وسلم كان يُبيِّن للناس الأمور بالرِّفق، ومن ذلك الشاب الذي طلب منه أن يأذن له بالزنى، فعن أبي أمامة قال ((إن فتى شابًّا أتى النَّبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادْنُه، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: أتحبُّه لأمِّك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا النَّاس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا النَّاس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا النَّاس يحبونه لأخواتهم؟ قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا النَّاس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا النَّاس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء))[٣].

- وكان صلى الله عليه وسلم رفيقًا بنسائه، فعن أنس ((أن النَّبي صلى الله

(١) الكهر: الانتهار. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٥/١٥٤).

(٢) صحيح مسلم (٥٣٧).

(٣) رواه أحمد (٥/٢٥٦) (٢٢٢٦٥)، والبيهقي في ((الشعب)) (٧/٢٩٥).
قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١/١٣٤): رجاله رجال الصحيح، وصحح إسناده الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (١/٧١٢)، وصححه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (٥٠١).

عليه وسلم أتى على أزواجه، وسَوَّاق يسُوقُ بهنَّ يُقال له: أَنْجَشَة، وكان يَحْدُو للإبل ببعض الشعر حتى تسرع على حِدَائه، فقال له النبي: ويحك يا أَنْجَشَة، رُوَيدًا سَوْقَك القوارير[1]))[2].

- كما أنَّه صلى الله عليه وسلم كان يرفق بأبناء المسلمين، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: اللهم ارحمهما، فإنِّي أرحمهما))[3].

- **نماذج من رفق الصحابة رضي الله عنهم:**

رفق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- عن زيد بن وهب قال: خرج عمر رضي الله عنه ويداه في أذنيه وهو يقول: يا لبيكاه يا لبيكاه، قال النَّاس: ما له؟ قال: جاءه بريد من بعض أمرائه أنَّ نهرًا حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفنًا، فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلًا يعلم غور الماء. فأتي بشيخ فقال: إني أخاف البرد وذاك في البرد، فأكرهه فأدخله، فلم يلبثه البرد، فجعل ينادي: يا عمراه يا عمراه! فغرق، فكتب إليه فأقبل فمكث أيامًا معرضًا عنه، وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك، ثم قال: ما فعل الرجل الذي قتلته؟ قال: يا أمير المؤمنين، ما تعمدت قتله، لم نجد شيئًا يعبر فيه، وأردنا أن نعلم غور الماء، ففتحنا كذا وكذا، وأصبنا كذا وكذا، فقال عمر رضي الله عنه: لرجل مسلم أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء جئت به، لولا

---

(١) رويدًا أي مهلاً. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥٤/٥).

(٢) رواه مسلم (٢٣٢٣).

(٣) رواه البخاري (٦٠٠٣).

أن تكون سُنَّة لضربت عنقك، اذهب فأعط أهله ديته، واخرج فلا أراك[١].

- وعن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: (خرجت مع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابَّة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجي، وترك صبية صغارًا، والله ما ينضجون كراعًا[٢]، ولا لهم زرع، ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خُفاف بن إِيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النَّبي صلى الله عليه وسلم، فوقف معها عمر ولم يمض، ثُمَّ قال: مرحبًا بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير[٣] كان مربوطًا في الدار، فحمل عليه غرارتين[٤] ملأهما طعامًا وحمل بينهما نفقة وثيابًا، ثم ناولها بخطامه، ثُمَّ قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أمُّك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانًا فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء[٥] سهمانهما فيه)[٦].

- وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذهب إلى العوالي كل يوم سبت، فإذا وجد عبدًا في عمل لا يطيقه وضع عنه[٧].

(١) رواه البيهقي في ((السنن الكبرى)) (٨/٥٥٩) (١٧٥٥٥).

(٢) الكراع في الغنم والبقر بمنزلة الوظيف في الفرس والبعير، وهو مستدَقُّ الساقِ. انظر: ((الصحاح)) للجوهري (٣/١٢٧٥).

(٣) بعير ظهير أي قوي. انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (١/١٥٢).

(٤) مثنى غرارة وهي ما يوضع فيها الشيء من التبن وغيره. انظر: ((عون المعبود)) للعظيم آبادي (٨/١٤٧).

(٥) نستفيء من استفأت هذا المال أي أخذته فيئا، أي نطلب الفيء من سهمانهما. انظر: ((عمدة القاري)) لبدر الدين العيني (١٧/٢١٩).

(٦) رواه البخاري (٤١٦٠).

(٧) رواه مالك (٢/٩٨٠) (٤١).

الرِّفق في واحة الشعر:

قال الشاعر:

الرِّفقُ ممن سيلقَى اليمنَ صاحبُه ... والخُرقُ منه يكونُ العنفُ والزللُ
والحزمُ أن يتأنى المرءُ فرصتَه ... والكفُّ عنها إذا ما أمكنتْ فشلُ
والبرُّ للهِ خيرُ الأمرِ عاقبةً ... واللهُ للبرِّ عونٌ ماله مثلُ
خيرُ البريَّةِ قولًا خيرُهم عملًا ... لا يصلحُ القولُ حتى يصلحَ العملُ[1]

وقال القاضي التنوخي:

القَ العدوَّ بوجهٍ لا قطوبَ به ... يكادُ يقطرُ مِن ماءِ البشاشاتِ
فأحزمُ النَّاسِ مَن يلقَى أعاديَه ... في جسمِ حقدٍ وثوبٍ مِن موداتِ
الرِّفقُ يمنٌ وخيرُ القولِ أصدقُه ... وكثرةُ المزحِ مفتاحُ العداواتِ[2]

وقال منصور بن محمد الكريزي:

الرفقُ أيمنُ شيءٍ أنت تتبعُه ... والخرقُ أشأمُ شيءٍ يقدُمُ الرِّجالا
وذو التثبتِ مِن حمدٍ إلى ظفرٍ ... مَن يركبِ الرِّفقَ لا يستحقبِ[3] الزَّللا[4]

وقال النابغة:

الرِّفقُ يمنٌ والأناةُ سلامةٌ ... فاستأنِ في رفقٍ تلاقِ نجاحًا[5]

---

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٢١٥).
(٢) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ١٨٢).
(٣) استحقبه: ادخره. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١/٣٢٥).
(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٢١٦).
(٥) ((ديوان النابغة الذبياني)) (ص: ٧٧).

وقال أحمد بن موسى الأزرق:

وزِنِ الكلامَ إذا نطقتَ، فإنَّما يُبدي العقولَ أو العيوبَ المنطقُ
لا أُلفينَّك ثاويًا في غربةٍ إنَّ الغريبَ بكلِّ سهمٍ يُرشقُ
لو سار ألفُ مدجَّجٍ في حاجةٍ لم يقضِها إلا الذي يترفَّقُ[١]

وقال مسلم بن الوليد:

ينالُ بالرِّفق ما يعيا الرجالُ به كالموتِ مستعجلًا يأتي على مهلِ[٢]

وقال محمد بن حبيب الواسطي:

بنيَّ إذا ما ساقك الضرُّ فاتئدْ فللرِّفقُ أولى بالأريبِ وأحرزُ
فلا تَحْمَينْ عند الأمورِ تعزُّزًا فقد يورثُ الذُّلَ الطويلَ التعززُ[٣]

وقال آخر:

خذِ الأمورَ برفقٍ واتئدْ أبدًا إياك مِن عجلٍ يدعو إلى وصبِ
الرفقُ أحسنُ ما تُؤتَى الأمورُ به يصيبُ ذو الرفقِ أو ينجو مِن العطبِ[٤]

وقال المنتصر بن بلال:

وعليك في بعضِ الأمورِ صعوبةٌ والرِّفقُ للمستصعباتِ مِرانُ
وبحسنِ عقلِ المرءِ يثبتُ حالُه وعلى المغارسِ تُثمرُ العيدانُ[٥]

(١) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٢١٦).
(٢) ((الحماسة البصرية)) لصدر الدين البصري (١/١٦٧).
(٣) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٢١٨).
(٤) ((نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)) للمقري التلمساني (٥/٥٨٢).
(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ٢١٨).

وقال أبو الحسن الربعي:

الرِّفقُ ألطفُ ما اتخذتَ رفيقًا ... ويسوءُ ظنُّك أن تكونَ شفيقا

فخذِ المجازَ مِن الزمانِ وأهلِه ... ودعِ التعمقَ فيه والتحقيقا

وإذا سألتَ اللهَ صحبةَ صاحبٍ ... فاسألْه في أن يصحبَ التوفيقا

وانظرْ بعينِك حازمًا متعذرًا ... في حيثُ شئتَ وعاجزًا مرزوقا[1]



(١) ((مجمع الحكم والأمثال)) لأحمد قبش (ص ١٩٣).

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

